سلسلة الكتاب المقدس وقضايا العصر

أخلاقيات المحبــة وأنوار الحرية

دراسة فى رسالتى تيطس وفليمون

بقلم
الدكتور القس مكرم نجيب

مقـدمـــــة السلسلة

هناك احتياج دائم أن نواجه ظروفنا المتغيرة على ضوء كلمة الله الثابتة. وبتعبير آخر ، نحتاج دائماً أن نعيـد قـراءة كلمـة الله المقدسة والموحى بها، والنافعة لكل العصور للتعلـيم والتـوبيخ للتقويم والتأديب الذى فى البـــــر (٢ تيموثـاوس ٣ : ١٦ – ١٧) ، لكى تخاطب واقعنا وعالمنا اليوم . لكى يسـمع شـعب الرب كلمة الرب تتحدث إليهم برسالة معاصرة، فتكون طاعتهم طاعة حقيقية .

وهى معادلة ليست سهلة، تحتاج إلى اسـتنارة الـروح القـدس بجانب الاستعداد الجيد ، وتحتاج إلى الأمانـة للـنص المقـدس وقدرة على فهمه الفهم الصحيح ، وإلـى الحساسـية للمجتمـع المعاصر بمتغيراته وهمومه وأمواجه المتلاطمة وقـدرة علـى المتابعة والتحليل للأحداث والأفكار، حتى يتم التواصل والتفاعل الناجح والمؤثر والمغير. وهـذا هـو دور الرعـاة والوعـاظ والقيادات المهتمة بالتعليم فى الكنيسة اليوم. فنحن خدام للكلمة، وخدام للكنيسة فى مجتمعها، ومهمتنا أن نحضر كل إنسان كاملاً (ناضجاً) فى المسيح يسـوع (كولوسـى ١ : ٢٣ – ٢٨)، وأن نعمل على التجديد والتنوير المستمر لكل الجماعة.

ولقد حاولت جهدى بإمكانياتي المحدودة أن أقدم بعض الدراسات للكنيسة المحلية فى أجزاء مختلفة من كلمة الله، واستعنت بالعديد من الدراسات خاصة نموذج مجموعة "الكتاب المقدس يتحـدث اليوم" وغيرها، وبالتالى شـجعنى الكثيـرون أن تظهـر هـذه الدراسات مطبوعة لتصل إلى دوائر أوسع. أصلى أن يكون هذا الجهد المتواضع نافعاً ومثمراً لمجد المسيح وبناء الكنيسة.

الدكتور القس مكرم نجيب

الفهـــرس

- **الرسالة إلى تيطس**–الكنيسة والأخلاق
- مقدمة الرسالة
- الإرسالية والحياة الأبدية (١ : ١–٣)
- تيطس والمهام الصعبة (١: ٤–٥)
- القيادات والنوعيات المطلوبة (١ : ٦–٩)
- الكنيسة ومواجهة الهرطقات (١ :١٠–١٦)
- الأخلاق المسيحية :
- أخلاقيات الأسرة المسيحية (٢ :١–٦)
- أخلاقيات الخادم المسيحى (٢ : ٧–٨)
- أخلاقيات الموظف المسيحى (٢ :٩–١٠)
- الأساس اللاهوتى للأخلاق المسيحية (٢ : ١١–١٥)
- أخلاقيات المواطن المسيحى فى المجتمع (٣ : ١–٢)
- الأساس اللاهوتى والروحى (٣ : ٣–٧)
- نصائح وتحذيرات (٣ : ٨–١١)
- توجيهات وتحيات (٣ : ١٢–١٥)
- **الرسالة إلى فليمون**–ثورة المحبة وميثاق الحرية

الرسالة إلى تيطس

الكنيسة والأخلاق

مقدمة الرسالة

رسالة تيطس واحدة من بين رسائل ثلاث، الرسالة الأولى والثانية إلى تيموثاوس ثم الرسالة إلى تيطس، وهى رسائل تتشابه فى الأسلوب والتعاليم التى تتضمنها والخلفية التاريخية الخاصة بها.

وهذه الرسائل الثلاث التى تحمل اسم الرسول بولس، لم توجه إلى كنائس كباقى رسائل الرسول، بل وجهت إلى أشخاص هم تيموثاوس وتيطس. ولكنها بالرغم ما فيها من إشارات شخصية، إلا أن غالبية موضوعاتها موجهة إلى الجماعات لتى يخدم بينها تيموثاوس وتيطس. وبالتالى فهى تختلف عن رسالة شخصية بحتة مثل رسالة فليمون.

على هذا الأساس سميت هذه الرسائل الثلاث بالرسائل الرعوية. وأول من أطلق عليها هذا الاسم هو توماس أكويناس، ثم تبناه – كما يقول الدكتور فهيم عزيز– أحد علماء الألمان فى القرن الثامن عشر وهو بول أنطون Paul Anton عام ١٧٢٦م، بعد ذلك أصبح الاسم شائعاً بين المسيحيين. ويضيف دونالد جوثرى فى تقديمه لهذه الرسائل، أن الذى سبق بول أنطون فى إطلاق هذا الاسم على هذه الرسائل هو بردوت D.N.Berdot عام ١٧٠٣، ثم تبعه بعد ذلك بول أنطون.

ويعتبر علماء العهد الجديد أن هذه التسمية مناسبة، لأنها من ناحية تشير إلى الموضوعات العملية التى تناولتها، ومن الناحية الأخرى تكشف قلب الرسول المحب لتلاميذه ومن هم له، واهتمامه بالتنظيم الكنسى بقدر اهتمامه بالكرازة والتعليم فى رسائله الأخرى.

الكاتب واتجاهات ثلاثة

تشكل طريقة الكتابة وزمنها وشخصية الكاتب، قضية كبرى فى دراسة الرسائل الرعوية عامة، وبالتالى فى دراسة الرسالة إلى تيطس. وهناك ثلاثة اتجاهات تدور حولها المناقشات فى هذا المجال، سوف نشير إليها بإيجاز. ومن يرغب فى التوسع فى دراسة هذه القضية، يمكن أن يرجع إلى العديد من المراجع التى بين أيدينا، والتى طرحت هذه القضية باستفاضة، مثل المدخل إلى العهد الجديد[١]، والتفسير الحديث للكتاب المقدس Tyndale Commentaries[٢]

الاتجاه الأول

الاتجاه الأول هو الذى سارت عليه الكنيسة طوال تاريخها حتى القرن التاسع عشر، وهو الاتجاه الذى يرى أن الرسول بولس هو كاتب الرسائل الرعوية، وهى رسائل أصيلة وموثوق بها. ولم يحتدم الجدل حول هذا الاتجاه إلا فى القرن التاسع عشر، ولكن الكنيسة مازالت تتمسك به بقوة.

ولقد عبرت الكنيسة عن هذا الاتجاه فى التقليد المتوارث عنها. وهذا ما نجده فى كتابات الآباء الأولين والتى احتوت على عبارات وشذرات كثيرة من الرسائل الرعوية، مما يُعتبر سنداً

---

[١] فهيم عزيز– د. القس . المدخل إلى العهد الجديد. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٠، ص ٥٢٠ – ٥٤٤,

[٢] دونالد جوثرى. التفسير الحديث للكتاب المقدس – الرسائل الرعوية. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٩٤، ص ١١–٥٨,

قوياً لنسبة هذه الرسائل إلى الرسول بولس، وتقليداً أقوى من أى تقليد خاص بأى رسالة أخرى، بخلاف رومية وكورنثوس الأولى على حد قول الدكتور فهيم عزيز.

وكنموذج لهذه الكتابات، هناك كتابات أكليمندس الرومانى فى أواخر القرن الأول الميلادى، وبوليكاربوس (١٠٧-١١٧) فى رسالته إلى فيليبى، وجيروم فى مقدمته لرسالة تيطس، وجاستين مارتر، وهيراكليون، وأيثناغورس، وثيوفيلوس، وإرينايوس.. إلى آخره.

كما أن شهادة مؤلف الموراتوريين Muratorian Canon (١٧٠-١٨٠) تعد شهادة قوية فى هذا الاتجاه إذ يقول " إلى فليمون رسالة وإلى تيطس رسالة وإلى تيموثاوس رسالتان كتبها الرسول بولس فى محبة وعاطفة، ولكنها مع ذلك اعتبرت مقدسة وقبلتها الكنيسة فى العالم كله لكى تأخذ منها النظام الصحيح فى الكنيسة."[٣]

أما الاعتراض الخاص بعدم وجود هذه الرسائل فى بردية تشستر بيتى Chaster Beaty (٤٦) .p، فيعلل ذلك الدكتور فهيم عزيز بأن هذه الرسائل ربما تكون ضمن سبع ورقات مفقودة من هذه المخطوطة.

وهناك عدد كبير من العلماء المدققين يؤيدون هذا الاتجاه، وأقروا بصحة وأصالة هذه الرسائل ونسبتها إلى الرسول بولس. من بين هؤلاء نجد: إيليكوت (١٨٦٤)، برتراند (١٨٨٧)، بلومر (١٨٨٨)، جوديث (١٨٩٣)، هورت (١٨٩٤)، برنارد (١٩٠٢)، ب.ويس (١٩٠٢)، زاهن (١٩٠٦)، ج.د.جيمس

[٣] فهيم عزيز – د. القس. المرجع السابق. ص. ٥٢٥,

(١٩٠٦)، رامـــزى (١٩٠٩)، هوايـــت (١٩١٠)، بارتليـــت (١٩١٣)، بارى (١٩٢٠)، هولنبرج (١٩٢٣)، لـــوك (١٩٢٤)، ماينرتر(١٩٣١)، شلاتر (١٩٣٦)، سبيك (١٩٤٧)، جيرمـــايس (١٩٥٣)، وسيمبسون (١٩٥٤).[٤]

الاتجاه الثانى

الاتجاه الثانى هو الذى يرفض أصالة هذه الرسائل ويشكك فـــى نسبتها إلى الرسول بولس. قلنا فى عرضنا للاتجـــاه الأول أن الكنيسة كلها تمسكت بالوجود لمبكر لهذه الرسائل، وأن الرسول بولس نفسه هو الكاتب لها، إلى أن جاء القـــرن التاســـع عشـــر وظهر علم نقد النصوص، وبدأت الشكوك تحوم حول نسبة هذه الرسائل إلى الرسول بولس.

وأول من قاد هذا الهجوم مشككاً فى حقيقة نسبة هذه الرسائل إلى الرسول بولس هو شيلر مـــاخر (١٨٠٧)، وبهـــذا أصـــبح أبـــاً للمدرسة النقدية الحديثة، والتى أثـــارت الجـــدل حـــول أصـــالة النصوص الكتابية، استناداً إلى أدلة قائمة على فقه اللغة.

ومن بين هؤلاء الذين رفضوا كتابة الرســـل للرســـائل عامـــة أيكهورن (١٨١٢)، ف.س. بور (١٨٣٥)، دى وايت (١٨٤٤)، هولزمـــان (١٨٨٠)، موفـــات (١٩٠١)، بولتمـــان (١٩٣٠)، ديبليوس (١٩٣١).[٥]

وهؤلاء يعللون رفضهم باختلاف أسلوب ومفردات هذه الرسائل عن أسلوب ومفردات الرسول بولس التى يستخدمها فى الرسائل

---

[٤] دونالد جوثرى. المرجع السابق. ص. ١٦,

[٥] دونالد جوثرى. المرجع السابق. ص. ١٥.

الأخرى، وبالتركيز فى هذه الرسائل على العقيدة الصحيحة والأعمال الصالحة، وبالحديث عن تنظيم كنسى أكثر تطوراً، وبنوعية البدع التى تتصدى لها. ويفند الدكتور فهيم عزيز فى المرجع الذى أشرنا إليه سابقاً هذه الأسباب، ثم يختم رأيه فى النهاية بأننا لا ننكر أن أسلوب وبعض موضوعات هذه الرسائل مختلفة عن غيرها فى الرسائل الأخرى للرسول بولس، لكن هذا كله يمكن تفسيره على أساس اختلاف الغرض والموقف وظروف المكتوب إليهم.

الاتجاه الثالث

الاتجاه الثالث والأخير يرى أن الرسائل الرعوية تبدو مترابطة، لأن الذى كتبها شخص واحد، وهو ليس الرسول بولس بل شخص آخر فى زمن متأخر. هذا الشخص وجد فى يده بعض شذرات أصلية كتبها الرسول بولس إلى تلميذيه تيموثاوس وتيطس، فأخذها ووضعها فى الرسائل التى كتبها هو وسماها باسم الرسول بولس. هذا يعنى أن الرسائل الأصلية الكاملة قد فقدت، ولم يبق منها غير هذه القصاصات التى وضعها الكاتب ضمن الرسائل الحالية.

من بين هؤلاء الذين تبنوا هذا الاتجاه فون سودين (١٨٩٣)، هاريسون (١٩٢١)، سكوت (١٩٣٦)، فالكونر (١٩٣٧)، إيستون (١٩٤٨). وقد حاول هؤلاء أن يستخرجوا هذه الشذرات من بين الرسائل فأشاروا إلى (تيطس٣ : ١٢-١٥) ثم (٢ تيموثاوس ١ : ١٦-١٨، ٣ :١٠و١١، ٤ : ١و٢ ، ٥-٨، ١١-١٩، ٤: ٩-١٥و٢٠و٢١و٢٢).

الخلاصة

بعد عرض موجز لهذه الاتجاهات، يظل الاتجاه الأول الذى تتبناه الكنيسة فى كل تاريخها هو السائد والصحيح الذى لا يمكن إنكاره. وبالتالى فالرسول بولس هو الذى كتب هذه الرسائل فى سجنه الثانى–كما يذكر الدكتور فهيم عزيز– الذى لم يذكر فى سفر الأعمال، والذى حدث بعد أن خرج من سجنه الأول فى أعمال ٢٨.[٦]

والرسالة إلى تيطس كواحدة من الرسائل الرعوية تدور حول موضوعات رئيسية هى الخدمة الكنسية، والحياة الكنسية، والإيمان الكنسى.

تيطس

تيطس هو باكورة الإنجيل من الأمم. وُلد فى أنطاكية من أبوين أممين (غلاطية ٢ :٣)، ويرُجح أنه تجدّد على يد الرسول بولس، إذ إن الرسول يدعوه "**الابن الصريح حسب الإيمان المشترك**" (تيطس ١ : ٤).

أخذه الرسول بولس مع برنابا إلى أورشليم فى المرة الثانية عام ٥٠م تقريباً، وهناك أراد بعض التهوديين أن يُختتن تيطس، ولكن الرسول رفض حتى لا يتعارض ذلك مع اقتناعه بأن الأمم لا يجب أن يختتنوا دلالة على حرية الإنجيل (غلاطية ٢ : ١–٥).

---

[٦] فهيم عزيز – د. القس. المرجع السابق. ص. ٥٣٦.

كذلك أرسله الرسول إلى كورنثوس ليواجه أزمة خطيرة فى العلاقة بين الرسول والكنيسة، وحمَّله رسالة شديدة اللهجة إلى كورنثوس. كان الرسول يتوقع رجوع تيطس بالرد فى ترواس (٢ كورنثوس ٢ :١٢)، لكن الرسول لم ينتظر وذهب إلى مكدونية وتلاقى مع تيطس هناك، وسمع منه أخباراً طيبة (٢كورنثوس ٧ : ٦).

ويبدو أن تيطس نجح فى تخفيف حدة التوتر وإزالة سوء الفهم، وعودة الثقة بين الرسول وبين الكنيسة فى كورنثوس. وبناء على هذا النجاح أرسله الرسول بالرسالة الثانية إلى كورنثوس، وطلب منه الاهتمام بالجمع للقديسين فى أورشليم (٢ كورنثوس ٦-٨،١٦ :٦).

ثم رافق تيطس الرسول فى سفره إلى جزيرة كريت، واشترك معه فى الكرازة بالإنجيل. بعد ذلك سافر الرسول إلى اليونان (تيطس ١ : ٥)، وترك تيطس فى كريت ليكمل العمل بها، الذى من المحتمل أن يكون قد بدأ منذ يوم الخمسين (أعمال ٢ :١١).

وقد أوكل الرسول إلى تيطس مهمة تنظيم الخدمة فى كريت، وترتيب الأمور الناقصة، وأن يقيم شيوخاً فى كل مدينة، ويحارب التعاليم الخاطئة. وواضح أن مهمته فى كريت لم تكن سهلة (تيطس ١ :١٠-١٢) ولم تكن فى نفس الوقت طويلة (تيطس ٣ :١٢) لأن الرسول طلب منه أن يذهب إليه فى نيكوبوليس.

الإرسالية والحياة الأبدية

(تيطس ١: ١-٣)

"بولس عبد الله ورسول يسوع المسيح لأجل إيمان مختاري الله ومعرفة الحق الذي هو حسب التقوى. على رجاء الحياة الأبدية التي وعد بهـــا الله المنزّه عن الكذب قبل الأزمنـــة الأزلية. وإنما أظهر كلمته في أوقاتها الخاصة بالكرازة التي أؤتمنت أنا عليها بحسب أمر مخلصنا الله."

فى البداية نقدم نموذجين لتحليل النص [*] **:**

١- التحليل الشعرى :

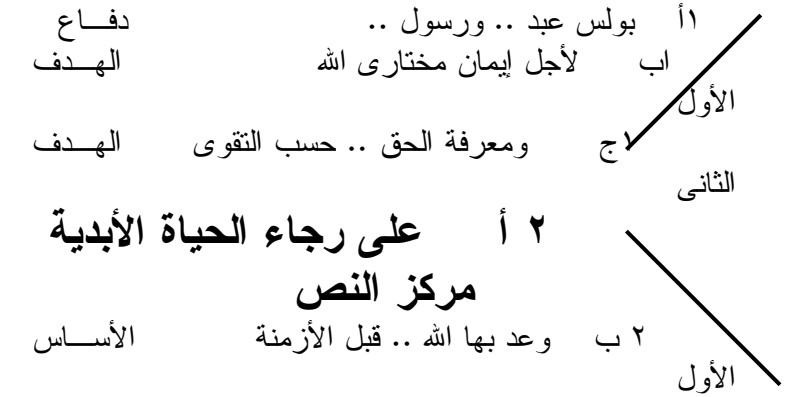

[*] مارك سوانسن- د.القس. محاضرات تفسير العهد الجديد. القاهرة: كليـــة اللاهوت الإنجيلية،١٩٩٤.

٣ب بالكرازة التى أؤتمنت أنا عليها الأساس الثانى

٢- نموذج تحليل خطى :
بناء العظة

- المرسل (١أ) : بولس عبد ..ورسول ..
- أهداف الإرسالية (١ب و ج) :
  لأجل :١-إيمان ..مختارى الله
  ٢-ومعرفة الحق ..حسب التقوى
- أساس الإرسالية : (٢و٣) :
  *رجاء الحياة الأبدية : مركز النص
  ١) وعد من الله .. قبل الأزمنة الأزلية
  ٢) خدمة الكرازة ..أظهر كلمته .. بالكرازة ..أمر ومسئولية

التعليق ورسالة النص

١-المرسل (١أ) :

يطلق الرسول على نفسه لقبين :

***عبد لله** : والرسول سبق له أن أطلق على نفسه "**عبد يسوع المسيح**" فى رسالتى رومية وفيلبى، لكن هنا لأول مرة يصف نفسه بالقول "**عبد الله**". وهو اللقب الذى نجده مرتبطاً بموسى ويشوع والأنبياء. والكلمة "عبد" doulos تعنى إما عبد فى سلاسل العبودية، أو خادم بالمعنى الروحى والأخلاقى، أى الذى يمتلكه الله، ويعيش تماماً وفق إرادة سيده.

***رسول يسوع المسيح:** والكلمة "**رسول**" apostolos تعنى الشخص المرسل من آخر. والعبارة هنا تعنى أن الرسول بولس يحمل كلمة المسيح، وأنه أخذ هذا

السلطان منه. وواضح أن العبارة تصف العلاقة الخاصة للرسول بولس مع الرب يسوع، وبها يدافع الرسول عن رسوليته.

٢-أهداف الإرسالية (١ ب وج) :

ما هى أهداف إرسالية الرسول بولس، وأهداف إرسالية الخدمة المسيحية عموماً؟ يقدم الرسول هدفين رئيسيين:

***الهدف الأول : <u>الإيمان</u>** فيقول "**لأجل إيمان مختارى الله**". والكلمة "Kata" التى ترجمت "لأجل" جاءت فى ترجمة أخرى "**فى سبيل إيمان مختارى الله**". أى أن هدف إرسالية الرسول هو أن يؤمن مختارو الله ويقبلوا عطية الحياة الأبدية من يد الله الكريمة. وعبارة "**مختارى الله**" معروفة فى العهد القديم، لكن الرسول استخدمها أيضاً فى (رومية٨ :٣٣ وكولوسى ٣ :٢١) بالإضافة إلى (تيطس١ :١) ليبرز فكرة اختيار الله لكنيسته فى العهد الجديد.

***الهدف الثانى : <u>المعرفة</u>** فالإيمان يجب أن يرتبط بالمعرفة الحقيقية كهدف رئيسى من أهداف إرسالية الرسول والكنيسة. إن الهدف من الخدمة المسيحية ومن إرسالية الكنيسة يجب أن يكون كما أوضحه الرسول فى (كولوسى ١ : ٢٨) "**الذي ننادي به منذرين كل انسان ومعلمين كل إنسان بكل حكمة لكي نحضر كل إنسان كاملاً في المسيح يسوع**".

هذه المعرفة هى "**معرفة الحق الذى هو حسب التقوى**" أى معرفة الحق الذى يظهر فى حياة التقوى ومخافة الرب. وهنا

يقول الرسول فى (فيلبى١: ٩ –١١) "**وهذا أصليه أن تزداد محبتكم أيضاً أكثر فأكثر في المعرفة وفي كل فهم. حتى تميزوا الأمور المتخالفة لكي تكونوا مخلصين وبلا عثرة إلى يوم المسيح. مملوئين من ثمر البر الذي بيسوع المسيح لمجد الله وحمده.**"

بمعنى إن حياة البر والتقوى الصادقة هى : ثمرة طبيعية للإيمان والمعرفة، فلابد للإيمان أن يسرى فى الحياة، ولابد للمعرفة أن تعلمنا كيف نعيش عملياً وواقعياً فى نضج مسيحى. فالمسيحى هو الإنسان الذى على وفاق مع الله ومع نفسه ومع الآخرين، والمسيحية هى حياة يعيش فيها المسيح مرة أخرى.

المعرفة إذن تجعل الإيمان واعياً ومستنيراً وقوياً، والإيمان يجعل المعرفة حياة تعاش على أرض الواقع. هذه هى أهداف رسالة الكنيسة فى أوضح صورها، وعلى ضوئها يجب أن تصحح أولوياتها وأنشطتها وعبادتها وتعليمها.

وهى نفس الأهداف التى عبّر عنها الرسول بقوة عن إرسالية الكنيسة فى حديثه فى (أفسس ٤ : ١١–١٥) إذ يقول "**وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين. لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح. إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح. كي لا نكون فيما بعد أطفالاً مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم بحيلة الناس بمكر إلى مكيدة الضلال. بل صادقين في المحبة ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح.**"

٣– أساس الإرسالية (٢ و٣) :

يوضح الرسول بأن أساس الإرسالية الذى يُبنى عليه البناء الأسمى للخدمة المسيحية، هو الرجاء فيقول "**على رجاء الحياة**

الأبدية" (تيطس ٣ : ٧). وهذه العبارة تفيد بأن الخدمة المسيحية لها توجه مستقبلى، برغم رسالتها الحاضرة.
وكلمة الرجاء "elpis" تعنى التوقع المفرح، توقع نوال الحياة الأبدية. فالمسيحية تقدم لنا عطية فائقة هى "**الحياة الأبدية**"، هى حياة الله ونصيبنا فى حياة هذا الإله الأبدى.
واختبار هذه الحياة يعنى اختبار قدرة الله فى عجزنا وفشلنا، واختبار سلام الله فى حيرتنا واضطرابنا، واختبار يقين الله فى شكوكنا، واختبار صلاح الله فى هزائمنا، واختبار فرح الله فى أحزاننا. فالمسيحية لا تقدم للناس عقيدة فقط، أو ميثاقاً أخلاقياً فحسب، بل تقدم نوعية حياة هى من صميم حياة الله.

وهذه الحياة عطية مؤكدة لأنها ترتكز على :

أ-وعد الله (عدد ٢) :
لقد وعد الله بالحياة الأبدية، هذه الوعود والمواعيد التى **هى** "**قبل الأزمنة الأزلية**"، قبل تأسيس العالم. أى أن هذه الوعود متأصلة الجذور فى مقاصد الله الأزلية. والله صادق، ولذلك يقول عنه الرسول "**المنزه عن الكذب**" والعبارة تعنى"**ليس له زيف**" (رومية ٣ :٤). هذا يعنى أن رجاء الحياة الأبدية جدير بكل ثقة.

ب-خدمة الكرازة (عدد ٣) :
كما أن رجاء الحياة يرتكز أيضاً على عمل الله فى المسيح، الذى هو رسالة الإنجيل وقلب الكرازة المسيحية. ولذلك يتحدث الرسول عن "**ظهور الكلمة**"، فيقول "**وإنما أظهر كلمته فى أوقاتها الخاصة بالكرازة..**"، أى جاء يسوع فى الوقت المحدد، وفى الفرصة المناسبة (غلاطية ٤ :٤و٥). وعندما جاء يسوع جاء بالحياة الأبدية، التى هى موضوع ومضمون الكرازة.

وخدمة الكرازة أمر ألهى "**بحسب أمر مخلصنا الله**" (١تيموثاوس١ :١)، ومسئولية بشرية "**أؤتمنت أنا عليها**"

(١تيموثاوس ١ :١١ ، ٢تيموثاوس١: ١١). فالكرازة اليوم هى مسئولية الكنيسة بكل أعضائها.

والكرازة فى مفهومها الكتابى تعنى أن يكون دورنا ومسئوليتنا أن نوقظ الإيمان فى قلوب الناس، وأن نؤهلهم للملكوت بالمعرفة والتعليم .. ويالها من مسئولية، ويالها من بركة، أن يثق الله بنا وأن تكون رسالة الإنجيل موضوع اهتمامنا وانشغالنا، أن نكون بالفعل على مستوى المسئولية.

تيطس والمهام الصعبة

(تيطس ١: ٤و٥)

"إلى تيطس، الابن الصريح حسب الإيمان المشترك. نعمة ورحمة وسلام من الله الآب والرب يسوع المسيح مخلصنا. من أجل هذا تركتك في كريت لكي تكمل ترتيب الأمور الناقصة، وتقيم في كل مدينة شيوخا كما أوصيتك."

نستطيع من خلال عرضنا لتاريخ علاقة تيطس بالرسول بولس وبالخدمة فى مقدمة الرسالة وفى هذا النص، نستطيع أن نتوقف أمام بعض الأفكار الهامة:

أولاً: تيطس وفكرة الحرية والسلطة:

صارع العالم صراعاً قاسياً ومكلفاً فى تاريخه الطويل، وفى أماكن عديدة، من أجل الاستقلال والتحرر. صارع ضد المستعمر الغاصب، صارع ضد الطغاة المستبدين. لكنه عندما تحرر، لم يستطع أن يمارس بعد الحرية المسئولة، بل انطلق يتخبط ثائراً ضد أى سلطة، غير مميز الفرق بين الحرية والفوضى، وبين التعددية والتفكك، وبين حرية الفرد والصالح العام للجماعة.

وفي مواجهة مع فريق المتطرفين اليهود أو جماعات الضغط، رفض تيطس أن يختتن بتشجيع من الرسول بولس (غلاطية ٢: ٣-٥). ومن الواضح أن طريقة تعامل الرسول مع مشكلة اختتان تيطس، اختلفت عن تلك الطريقة التي واجه بها بولس مشكلة ختان تيموثاوس، إذ إن الرسول شجع تيموثاوس على أن يختتن، ذلك لأن أفنيكي، والدة تيموثاوس، كانت يهودية، وأراد الرسول أن يتجنب العثرة. أما مع تيطس فقد كان الوضع

مختلفاً، إذ إن تيطس كان يونانياً أممياً، لذا فإن ختانه كان من الممكن – لو حدث – أن يصبح قاعدة للأمم.

هنا يعلمنا الرسول بولس فى علاقته وتعامله مع تلميذيه تيموثاوس وتيطس أن الحرية الحقيقية ليست الحرية الجامحة، بل المتوازنة المنضبطة. إنها ليست الحرية من السلطة، بل الحرية تحت السلطة، سلطة الإعلان للحق والبر، الحق كفكر وعقيدة والبر كسلوك وحياة، في المسيح وفي الكتاب. كما أن الحرية المنضبطة الناضجة لابد أن تكون خاضعة لسلطة المعرفة، وسلطة المحبة والحساسية للآخرين، وسلطة النظام والقانون، ... الخ.

ثانياً : تيطس والعمل الجماعي بروح الفريق:

إن الرسول العملاق لا يؤمن بالانفرادية في العمل، لذلك جمع حوله المساعدين النافعين. وكان تيطس واحداً من هؤلاء الأوفياء الصادقين الذين لا يستطيع الاستغناء عنهم، فهو بالنسبة له الأخ والشريك العامل معه "**أما من جهة تيطس فهو شريك لي وعامل معي لأجلكم**" (٢كورنثوس ٨ : ٢٣). وهو لم يكن مجرد شريك بل أيضاً "**شريكي المخلص**" (فيلبى ٤: ٣)، ولقد سلك تيطس بذات الروح الواحد "**طلبت إلى تيطس ... هل طمع فيكم تيطس؟ أما سلكنا بذات الروح الواحد؟ أما بذات الخطوات الواحدة؟**" (٢كورنثوس ١٢: ١٨). لقد كان تيطس شريكاً للرسول في خدمته للسيد.

لكنه كان أيضاً "**الابن الصريح حسب الإيمان المشترك**" (١ :٤). آمن تيطس بالرب يسوع على يدىّ بولس ربما فى أيقونية. بعض الترجمات تورد هذه الكلمات كالآتى : "**إلى تيطس ولدى الحقيقى**" (١تيموثاوس١: ٢). وتظهر هذه الكلمات نغمة الفرح فى قلب الرسول المسن بسبب ابنه فى الإيمان، الذى صار خادماً للرب يسوع. ما أبهج أن يجد الإنسان ابناً له فى الإيمان يصبح

نافعاً فى الخدمة!
وتيطس أيضاً هو الصديق الوفى الذى يستريح إليه الرسول، ويجده إلى جواره فى الأزمات الملتهبة وعندما تضيق به الدنيا ويشعر بالوحدة. وفى هذا المعنى يقول الرسول :

"**ولكن لما جئت إلى ترواس لأجل إنجيل المسيح وانفتح لى باب فى الرب لم تكن لى راحة فى روحى،لأنى لم أجد تيطس أخى، لكنى ودعتهم فخرجت إلى مكدونية... لأننا لما أتينا إلى مكدونية لم يكن لجسدنا شئ من الراحة، بل كنا مكتئبين فى كل شىء، من خارج خصومات ومن داخل مخاوف لكن الله الذى يعزى المتضعين عزّانا بمجئ تيطس**" (٢ كورنثوس٢ : ١٢و١٣)، (٢ كورنثوس ٧ : ٥-٧).

إن الرسول العظيم يشير إلى تيطس هنا كصديقه الوفىّ، وفى عدم كبرياء يعلن أن تشجيع الله وتعزيته قد توافرا له فى وقت الشدائد من خلال هذا الابن : تيطس.

وأنت – عزيزى القارئ – قد لا تحتاج أن تبذل جهداً ،بل بروح تيطس يمكن أن يستخدمك الله بكلمة رقيقة أو بسمة محبة لشخص أو خادم يقف على الخط الفاصل بين النجاح والفشل،بين الثبات واليأس، بين الحياة والموت...إن هذه الكلمة أو البسمة، رغم أنها لا تكلفك شيئاً لكنها تفعل الكثير. إن روح الفريق أقوى جداً من كل المواهب الفرديّة (رغم أهميتها) فى تحقيق الإنجاز المتكامل.

لابد أننا استمعنا كثيراً إلى العالم المصرى العالمى الدكتور زويل، الذى أكد فى حديثه مراراً أن السر فى تحقيق هذه الإنجازات العلمية الهائلة، لا يعود إلى عبقريته هو فقط بل إلى الفريق العامل معه أيضاً. وأن سمة العمل الجماعى بروح الفريق، هى أحد أسباب التقدم فى كل المجالات فى

الدول المتقدمة. فهل نستطيع ن نعى الدرس ونعيش الفكرة؟!

ثالثاً : تيطس والموقف المشَّرف أمام المهام الصعبة :
كان تيطس بتكوينه الطبيعى وشخصيته ومواهبه مختلفاً بعض الشيء عن تيموثاوس. لذلك كان يوكل إليه الرسول المهام الصعبة حيث المتاعب والأزمات العنيفة. لقد كان يمتلك الصلابة والشجاعة، قوة الحجة والمنطق، قدرة إدارية ناجحة، حكمة التصرف ، كل هذا مع حياة شاهدة، رؤية واضحة، وإخلاص نادر للرب وللرسول بولس.
ومن المسؤوليات والمهام التى عَهَدَ الرسول بها إليه :

- **المهمة الأولى :** الأزمة فى كورنثوس (٢كورنثوس ٧ : ٦-١٦)عندما حدثت أزمة فى كنيسة كورنثوس فور حكم الرسول بطرد الزانى حتى يتوب، وكان الرسول ينتظر بقلق وتوتر ما سيحدث، ساعد تيطس الكنيسة حتى تفهم دوافع الرسول وتنفذ كلامه.فى هذا الوقت ساعد تيطس على إزالة سوء الفهم وتخفيف حدة التوتر. وعندما تاب الرجل وعاد إلى الكنيسة ساعد تيطس الكنيسة ، بتشجيع الرسول،أن تقبله وأن تعبر الأزمة فى وحدة وفى تقدير للرسول (٢ كورنثوس ٧ : ٦ – ١٢).

- **المهمة الثانية :** المجاعة فى أورشليم عند حدوث المجاعة فى أورشليم، ولأجل مساعدة الكنيسة الأم، لم يجد الرسول بولس من يملك الغيرة والاجتهاد مع حسن الإدارة والتنظيم فى عملية جمع المساعدات والتبرعات إلا تيطس الأمين.

- **المهمة الثالثة :** الخدمة فى كريت (تيطس ١ : ٥) كانت هذه الخدمة للتنظيم والرعاية، وكانت مهمة صعبة للغاية وسط متمردين ومخادعين كثيرين يخدعون العقول ويقلبون

البيوت بجملتها من أجل الربح القبيح. قال عنهم الرسول (مقتبساً عن أحد شعرائهم) "**الكريتيون دائماً كذابون، وحوش ردية، بطون بطّالة**"، لذلك هم بحاجة إلى من يستطيع أن يسد أفواههم، ولم يجد الرسول بولس من هو أفضل من تيطس ليقوم بهذه المهمة خير قيام (تيطس ١ : ١٠-١٢) من خلال التعليم والحياة. لم يكن تيطس يكلمهم فقط عن السلوك المسيحى، بل أيضاً كان يريهم كيف ينبغى للمسيحى أن يكون.

هذا هو تيطس والحرية المسيحية المتزنة المنضبطة، والعمل الجماعى بروح الفريق، ورجل المواقف المشرفة فى المهام الصعبة، حتى إن الكنيسة الغربية تحتفل بذكراه فى الرابع من يناير، وتحتفل بذكراه الكنيسة الشرقية فى الخامس والعشرين من أغسطس من كل عام. وكم تحتاج الكنيسة اليوم إلى أمثال تيطس فى الخدمة والبناء والرسالة.

القيادات والنوعيات المطلوبة

(تيطس ١: ٦-٩)

"**إن كان أحد بلا لوم، بعل امراة واحدة، له أولاد مؤمنون، ليسوا في شكاية الخلاعة ولا متمردين. لأنه يجب أن يكون الأسقف بلا لوم كوكيل الله، غير معجب بنفسه، ولا غضوب، ولا مدمن الخمر، ولا ضرّاب، ولا طامع في الربح القبيح، بل مضيفاً للغرباء، محباً للخير، متعقلاً، باراً، ورعاً، ضابطاً لنفسه، ملازماً للكلمة الصادقة التي بحسب التعليم، لكي يكون قادراً أن يعظ بالتعليم الصحيح ويوبخ المناقضين.**"

واضح أن الكنيسة في كريت في حالة من عدم النظام، وعلى هذا- كما يبدو من العدد الخامس- كان على تيطس أن "**يكمّل ترتيب الأمور الناقصة**"، أي ما لم يتمكن الرسول بولس من عمله، **وأن** "**يقيم في كل مدينة شيوخاً**".

هذا يعني أنه من الضروري أن يكون للكنائس المسيحية جهاز للقيادة والتنظيم والتوجيه، لكي تسير الأمور في الكنائس بلا تشويش بل بترتيب يحفظ للرسالة تقدمها ونجاحها واستمرارها، ويحفظ للكنيسة وحدتها وتحقيق أهدافها واستقرارها.

بعد هذه المقدمة الضرورية لنا بعض الملاحظات على هذه الأعداد:

١-كلمة "**أسقف**" episkopos والتي وردت في (أعمال٢٠: ٢٨، فيلبي١: ١، ١تيموثاوس٣، ٢، تيطس١: ٧، ١بطرس٢: ٢٥) هي الأصل اليوناني المشتق منه اسم الفاعل

episkontes، والذي يعني "**ملاحظ**" (عبرانيين١٢: ١٥) أو "**ناظر**" (١بطرس٥: ٢)، وهي الكلمة الإنجليزية overseer. وعلى هذا يكون عمل الأسقف الملاحظة والإدارة والمتابعة والإشراف والافتقاد.

٢-واضح أن كلمة "**أسقف**" مرادفة لكلمة "شيخ" presbyteros الموجودة في العدد الخامس. وأن الرسول عندما استدعى "قسوس" كنيسة أفسس في (أعمال٢٠: ٧) نجدها في الأصل "شيوخ" الكنيسة، هذا من ناحية، ومن الناحية الأخرى يقول لهم في (أعمال٢٠: ٢٨) "**احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة، لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه**". نستنتج من هذا أن الكلمات أسقف وشيخ وقس، تستخدم عادة بالتبادل لتصف نفس الفئة ولتعطي نفس المعنى.

٣-هذه الفئة من القيادات يضع لها الرسول بعض المؤهلات، التي نجدها للشمامسة في (١تيموثاوس٣: ٨-١٣) مع الاختلاف الطفيف، بل أكثر من ذلك لابد أن يتحلى كل المؤمنين بهذه الصفات الهامة. ولكن عندما يذكرها الرسول كمؤهلات للقيادات وللمسئولين في الكنيسة، يريد أن يقول بكل الوضوح أنه لا يصلح اختيار قيادات للكنيسة تفتقر إلى هذه المؤهلات.

٤-هذه المؤهلات تشير إلى الصفات أي إلى المقومات الشخصية للمسئولين، وليس إلى أدوارهم. فكثيراً ما يحدث الخلط بين هذه المؤهلات وبين تحديد الاختصاصات والأدوار. فالكنيسة في كل مراحلها ربطت بين "الوظائف" و"الأدوار" وبين "المواهب" المؤهلة للقيام بهذه الأدوار، كما أنها ربطت بين الوظائف والأدوار وبين الاحتياجات والظروف والمتطلبات التي تواجهها في كل مرحلة معينة. مما يؤكد حتمية تطور

الوظائف والأدوار الكنسية ليواكب تطور الخدمة في مواجهة التحديات المعاصرة.

٥-هذه المؤهلات ربما برزت الحاجة إليها من خلال الخلفيات الخاصة بأفسس وكريت بالذات، لكنها في نفس الوقت يجب أن يتحلى بها كل القيادات والمسئولين في الكنيسة المسيحية. وهي تتركز في خمس دوائر كبرى كالتالي:

***الأولى: الالتزام والأمانة في الحياة العائلية (عدد٦):**

أولاً "**بعل امرأة واحدة**"، والرسول هنا لا يقصد منع الزواج الثاني كما نادى ترتليان، وإنما لإبراز التفرد والاختلاف والأخلاق الفاضلة عن كل من كان يتبع نظام تعدد الزوجات، الذي كان سائداً في العالم الوثني في ذلك الحين. فالقائد والخادم يجب أن يعيش الإخلاص في حياته العائلية.

وثانياً "**له أولاد مؤمنين ليسوا في شكاية الخلاعة ولا متمردين**"، في مقابل "**له أولاد في الخضوع بكل وقار**" في (١تيموثاوس٣: ٤). والرسول يطلب من القيادات والمسئولين أن يربوا أولادهم تربية مسيحية، وأن يختبر الأولاد عمل المسيح المخلص والسيد في حياتهم. وأن يبتعدوا عن الخلاعة من ناحية asotia أي عدم القدرة على السلوك القويم، وتبديد الوقت والمال في الملذات، وعن التمرد من الناحية الأخرى.

من هنا نرى أهمية البيت كأولوية في حياة الخادم والمسئول، لأن النجاح في الأسرة نموذج للنجاح في الخدمة، وطريق وأداة لهذا النجاح في نفس الوقت.

***الثانية: الانضباط والنضج في السلوك الشخصي (أعداد ٧و٨ب):**

وهنا استخدم كلمات تصف السلوك الشخصي للأسقف أو الشيخ أو الخادم "**كوكيل الله**" (١كورنثوس٤: ١، غلاطية٤:

٢) أي المسئول الذي أقامه الله، دعاه وعيّنه الله.
هذه الكلمات تصف نضجه الروحي "**غير معجب بنفسه**" أي لا يكون متغطرساً، ويبتعد عن خطر وخطية الكبرياء، وتصف تحكمه في نفسه سواء من ناحية مزاجه وجهازه العصبي وصحته النفسية "**ولا غضوب.. ولا ضرّاب**"، أو من ناحية عاداته "**ولا مدمن الخمر**"، أو في موقفه من المال "**ولا طامع في الربح القبيح**"، بل يجب أن يكون إيجابياً "**متعقلاً باراً ورعاً ضابطاً لنفسه**". أي يعيش حياة البر والعدل والتقوى في تعقل وصحو وانضباط.

وواضح من هذه الكلمات أنها تدور حول حياة النضج، التي تظهر في ضبط النفس كثمر للروح، أمام الظروف أو التجارب أو الناس.

***الثالثة: المحبة واللطف في العلاقات مع الآخرين (عدد ٨أ):**
وفي هذا الجزء يذكر الرسول صفتين، الأولى "**مضيفاً للغرباء**" والثانية "**محباً للخير**". الأولى من كلمة philoxenia وتشير إلى المسيحيين المسافرين من مكان لآخر، والمحبة الشديدة في ضيافتهم والاهتمام بهم، والثانية من كلمة philagathos وتشير إلى حب الأشياء والأشخاص، أي حب الخير وحب الناس الخيّرين.

والصفتان تعبران عن الكرم المسيحي كما يقول كلفن، وعن ممارسة المحبة المسيحية العملية والعلاقات الاجتماعية الناجحة.

***الرابعة: ملازمة الكلمة والقدرة على التعليم (عدد ٩):**
يقول الرسول "**ملازماً للكلمة الصادقة التي بحسب التعليم**" أي أن القائد والخادم المسيحي يجب أن "يرافق الكلمة الصادقة"، أي يرتبط ويتتلمذ أمام الكلمة الجديرة بالثقة

باستمرار، فيكون ملماً بكلمة الله بعمق، وتكون معتقداته واضحة لديه تماماً. هذا ما يسميه الرسول في (كولوسي٢: ٢) "**غنى يقين الفهم لمعرفة سر الله الآب والمسيح**".
وعلى هذا الأساس "**يكون قادراً أن يعظ بالتعليم الصحيح ويوبخ المناقضين**". فعندما يكون المسئول "مغروساً" في الكلمة الصادقة التي بحسب التعليم، يكون "قادراً" على القيام بالمهمة المزدوجة المطلوبة منه، أن يقدم "**التعليم الصحيح**" وأن "**يوبخ المناقضين**" الذين يبتعدون عن الحق، إما ليساعدهم على تصحيح أفكارهم، أو ليفحم المقاومين منهم.

ولنلاحظ أن الكلمات التي تصف التعليم في هذه العبارات، كما يقول دونالد جوثرى، تفترض تعليماً هادفاً وملزماً، ولا يمكن الاستغناء عنه.

***الخامسة: السمعة الطيبة والشهادة الحسنة (عدد٦أ و ٧أ):**
وهي العبارة التي تكررت في العددين "**بلا لوم**". وهذه العبارة تعني في اليونانية حسن السمعة، وعن جدارة، وفي الإنجليزية above reproach أو of blameless reputation. والقصد العام ضرورة وجود مستوى أخلاقي فوق الشبهات بالنسبة للقيادات والخدام والعاملين في المواقع الكنسية المختلفة.

صحيح أنه لا يوجد شخص أو قائد أو خادم بلا عيب وبلا لوم قدام الله، لكننا جميعاً مدعوون للسعي الدائم والجهاد المستمر نحو هذا المقياس. واعتمادنا على نعمة المسيح التي تعيننا وتقوينا في جهاد الحياة والخدمة، والتي تستر ضعفاتنا وتشدد أزرنا.

يقول الرسول إلى الخادم تيموثاوس في (٢تيموثاوس٢: ١-٣) "**فتقو أنت يا ابني بالنعمة التي في المسيح يسوع. وما سمعته مني بشهود كثيرين أودعه أناساً أمناء، يكونون**

أكفاء أن يعلموا آخرين أيضاً. فاشترك أنت في احتمال المشقات كجندي صالح ليسوع المسيح".

٦-في نهاية هذه الملاحظات على هذه الفقرة الهامة من هذه الرسالة، أختم بهذه الكلمات التي جاءت في مقدمة دراسة عن القيادات الكنسية، قدمها د. عاطف مهنى مدير كلية اللاهوت الإنجيلية في عدد أبريل ومايو ٢٠٠٢ من مجلة الهدى يقول فيها:

ليس هناك أروع من أن تقوم الكنيسة بتنظيم أمورها على نحو يضمن لها الصحة الروحية والعمق والامتداد، وليس هناك أخطر من اختيار قيادات ومسئولين في تاريخ أي جماعة. فالقيادات إما أن يكونوا نعمة أو نقمة للجماعة. ويكفي للمتأمل في كلمة الله أن يذكر تأثير ملوك وكهنة وأنبياء شعب إسرائيل في العهد القديم على حياة الشعب.

فالصالح منهم كان يقود الشعب بأسره لنهضة روحية واجتماعية شاملة، والشرير منهم كان الشعب في عهده ينحرف بعيداً عن الله للشر وعبادة الأوثان وإهانة وخزي أنفسهم.

الكنيسة ومواجهة الهرطقات

(تيطس ١: ١٠-١٦)

"فإنه يوجد كثيرون متمردين يتكلمون بالباطل ويخدعون العقول ولا سيما الذين من الختان. الذين يجب سد أفواههم فإنهم يقلبون بيوتاً بجملتها معلمين ما لا يجب من أجل الربح القبيح. قال واحد منهم وهو نبي لهم خاص الكريتيون دائماً كذابون وحوش ردية بطون بطالة. هذه الشهادة صادقة فلهذا السبب وبخهم بصرامة لكي يكونوا أصحاء في الإيمان. لا يصغون إلى خرافات يهودية ووصايا أناس مرتدين عن الحق.
كل شيء طاهر للطاهرين وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شيء طاهراً بل قد تنجس ذهنهم أيضاً وضميرهم. يعترفون بأنهم يعرفون الله ولكنهم بالأعمال ينكرونه إذ هم رجسون غير طائعين ومن جهة كل عمل صالح مرفوضون".

ختم الرسول حديثه فى الجزء السابق (الأعداد ٦ -٩) عن القيادات الدينية، خاصة الأسقف أو الشيخ أو القس الراعى، بالقول "**ملازماً للكلمة الصادقة التى بحسب التعليم لكى يكون قادراً أن يعظ بالتعليم الصحيح ويوبخ المناقضين**".

وفى الأعداد التى أمامنا الآن يواجهنا بهؤلاء المناقضين أو المقاومين، ويعطينا فرصة أن نتعرف عليهم وعلى بعض أفكارهم، ويوجهنا إلى كيفية التعامل معهم.

والكنيسة منذ فجر تاريخها وفى كل مراحلها وحتى الآن، معرضة لهؤلاء المعلمين المزيفين الذين يزدادون فى الانتشار يوماً بعد الآخر "**يوجد كثيرون**"، يخدعون العقول البسيطة، يقلبون الحق ويقلبون بيوتاً بجملتها.

وواضح أن أسوأ نوعية من هذه الجماعات من المعلمين الزائفين أو الكذبة كانوا من اليهود "**من الختان**"، وقد التقينا بهم عند دراستنا لرسائل أخرى مثل كولوسى وغيرها ، وأنهم أثاروا حالة من الشغب والبلبلة وعدم الاستقرار فى كريت. كما أن أمثالهم المعاصرين مازالوا يثيرون نفس الحالة فى أماكن كثيرة فى العالم وفى بلادنا. لذلك دعونا نتعلم من هذا النص كيف كشفهم الرسول بولس، وكيف يوصى بمواجهتهم بحسم وصرامة.

أولاً : المعلمون المزيفون (أعداد ١٠ – ١١) :
يصف الرسول هؤلاء المعلمين ببعض الصفات التى ترتبط بأشخاصهم وأعمالهم مثل :

١- **متمردون** .. والكلمة تعنى كما يقول دونالد جوثرى "يهزأون بسلطة الكنيسة". ويشرح وليم باركلى أكثر فيقول إنهم جنود رفضوا إطاعة الأوامر الصادرة إليهم، رفضوا قبول مشورة الكنيسة، ورفضوا قبول عقيدة الكنيسة، ورفضوا قبول إشراف الكنيسة.

٢- **يتكلمون بالباطل** .. أى يتكلمون كلاماً تافهاً بلا فائدة، وهى صفة مرتبطة فى الذهن اليهودى بالعبادات الوثنية. والفكرة هنا أنهم يتكلمون كلاماً كبيراً براقاً، لكن لا تأثير له فى تقدم الإنسان ولو خطوة واحدة فى حياته الروحية.

٣- **يخدعون العقول** .. هم مخدوعون فى أنفسهم، وبالتالى "يخدعون العقول". وهى صفة منتشرة فى كل الأفكار والتيارات الغريبة والهرطقات. فبدلاً من أن يقودوا الناس إلى الحق، دفعوهم إلى الباطل.

٤- **يقلبون بيوتاً بجملتها** .. ولأن هذه الأفكار الزائفة تسللت إلى بعض أفراد من عائلة ما، لذلك تمكنوا من

حدوث انقسام فى العائلات "**يقلبون بيوتاً بجملتها معلمين ما لا يجب**" أى معلمين ما يتعارض مع التعليم الصحيح (عدد ٩). وهى نتيجة متكررة نحذر منها، فما من مرة دخلت فيها تيارات الأفكار والتعاليم الغريبة إلا وقلبت وقسمت العائلات والكنائس. والتاريخ والواقع خير شاهد على ذلك.

٥- **تجار** .. إن هدفهم الحقيقى خلف كل أنشطتهم الحصول على الربح وجمع الأموال "**من أجل الربح القبيح**". وهى الصفة التى لا يجب أن تكون فى القائد الدينى كما فى (عدد ٧) حيث يقول الرسول فى سياق الحديث عن الأسقف "**ولا طامع فى الربح القبيح**".

وعبارة "**الربح القبيح**" تعنى "الربح أو المكسب الدنىء"، وهى تشير إلى دناءة هؤلاء المعلمين الحمقى المدّعين. وحيثما تسيطر الاعتبارات المادية على أى حركة دينية، يجب أن ترتسم قدام عيوننا علامات الخطر المحدق، إذ كيف يتحول بيت الله إلى "بيت تجارة" أو "مغارة لصوص".

أمام هذه الصفات لهؤلاء المعلمين وخطورتهم الواضحة، يتخذ الرسول موقفاً قوياً منهم فيقول "**يجب سدّ أفواههم**". والكلمة "سد" فى اليونانية "epistomizo" تعنى "يلجم" أو "يكمم"، والمعنى يفيد منعهم من أذية الآخرين، وتقديم التعليم الصحيح الذى "**يوبخ المناقضين**" فى (عدد ٩) أى "يفحم المقاومين" كما ذكرنا هناك.

والقصد أن التعليم الصحيح الذى يُقدَّم بطريقة قوية وبارعة، يسد أفواه هؤلاء المعلمين الذين جاء وصفهم فى (عدد ١٢) "**وحوش ردّية**".

ثانياً : الإيمان الصحيح (أعداد ١٢-١٤) :
فى هذه الأعداد يقتبس الرسول من ناقد وشاعر كريتى يسمى "أبيمندس" Epimenides، عاش فى القرن السادس قبل الميلاد، وضعه مواطنوه فى درجة عالية من الرفعة والتكريم، لدرجة أنهم يقولون عنه إنه "نبى"، وهى صفة يطلقها عليه أيضاً بعض الفلاسفة أمثال أرسطو وشيشرون، وهى نفس الصفة التى يذكره بها الرسول.

وهنا نلاحظ الإلمام الواسع للتراث الثقافى عند الرسول بولس، وقدرته على توظيف هذا التراث لخدمة الرسالة، ولتدعيم شهادته بواحد منهم. وهكذا يجب أن يكون كل من يتصدى لهذه المهمة الخطيرة، مهمة التعليم.

يصف أبيمندس الكريتيين بثلاث صفات الأولى "**دائماً كذابون**"، وهى صفة أوضحتها اللغة اليونانية إذ اشتُق فعل من الاسم "كريت"، الفعل هو "كريتيزو Cretizo" ويعنى "يكذب" أو "يغش". أما الصفات الأخرى فتفيد الانغماس فى الملذات الحسية، فيقول عنهم "**وحوش ردّية**" أى فى منتهى الضراوة والقسوة، ثم "**بطون بطّالة**" أى شرهون وكسالى.

وهنا يؤكد الرسول كلمات أبيمندس فيقول "هذه الشهادة صادقة". إنه يريد أن يعرف تيطس صفات وطبائع هؤلاء المعلمين الكذبة، الذين سيتعامل معهم بحزم. ولذلك يقول له الرسول "**فلهذا السبب وبخهم بصرامة لكى يكونوا أصحاء فى الإيمان**".

مرة أخرى يوجه الرسول تيطس أن يتعامل بحزم وحسم مع هؤلاء المعلمين، وتعبير "**بصرامة**" لم يرد إلا فى (٢ كورنثوس ١٣ : ١٠) وترجمت "جزماً" فيقول "**لذلك أكتب بهذا وأنا غائب لكي لا أستعمل جزماً وأنا حاضر حسب السلطان الذي أعطاني إياه الرب للبنيان لا للهدم**". والهدف من كل تأديب مسيحى، ومن كل توبيخ صارم "**أن يكونوا أصحاء فى الإيمان**". ومن

خلال القرينة هنا يكون المعنى "لكى يعودوا إلى التعليم الصحيح". أى أن الهدف الدائم هو البنيان لا الهدم.

وبعبارة أخرى أن يبتعدوا عن التعاليم الكاذبة الباطلة مثل : "**لا يصغون إلى خرافات يهودية ووصاياه أناس مرتدين عن الحق**". أما "الخرافات اليهودية"، أو الأساطير اليهودية، فهى تلك التى أشار إليها الرسول بصفة عامة فى حديثه إلى تيموثاوس (١ تيموثاوس ١ : ٤) "**ولا يصغوا إلى خرافات وأنساب لا حد لها تسبب مباحثات دون بنيان الله الذي في الإيمان**".

أى خرافات الاتجاه الشكلى الطقسى، وقوائم ما يجوز وما لا يجوز، هذه النوعية من التفكير الخرافى الذى حوَّل كل شىء إلى خطايا حتى الزواج والطعام (١ تيموثاوس ٤ : ٣ – ٦).

أما "**وصايا الناس المرتدين عن الحق**" فهى تشير إلى ما جاء فى (كولوسى ٢ : ٢١ – ٢٢) "**لا تمس ولا تذق ولا تجس. التي هي جميعها للفناء في الاستعمال حسب وصايا وتعاليم الناس**".

وهذه الخرافات والأساطير وهذه الوصايا البشرية سمات هرطقة يهودية غنوسية، ظهرت فى كولوسى كما ظهرت فى كريت. ودائماً التعاليم الخاطئة تؤدى إلى ممارسات خاطئة، ولذلك يستطرد الرسول فيتحدث عن الذهن والضمير فى الأعداد التالية، بعيداً عن نظرة التأثيم وفقه التنجيس لأناس ارتدوا عن الحق ورفضوه.

يقول النبى إشعياء فى (إشعياء ٢٩ : ١٣) "**فقال السيد لأن هذا الشعب قد اقترب إليّ بفمه وأكرمني بشفتيه وأما قلبه فأبعده عني وصارت مخافتهم مني وصية الناس معلمة**"، ويقول الرب يسوع فى (مرقس ٧ : ٧) "**وباطلاً يعبدونني وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس**".

ثالثاً : الذهن والضمير (أعداد ١٥ – ١٦) :
يقتبس الرسول فى أول العدد الخامس عشر مثلاً "**كل شيء طاهر للطاهرين**". هذا المثل عبارة عن صدى لكلمات يسوع فى (مرقس ٧ : ١٥) "**ليس شيء من خارج الإنسان إذا دخل فيه يقدر أن ينجسه لكن الأشياء التي تخرج منه هي التي تنجس الإنسان**". ولقد ذكر الرسول بولس نفس المعنى فى (رومية ١٤ : ١٤) "**إني عالم ومتيقن في الرب يسوع أن ليس شيء نجساً بذاته إلا من يحسب شيئاً نجساً فله هو نجس**". (أنظر أيضاً رومية ١٤ : ٢٠و٢١).

والذى يريد أن يقوله الرسول بولس مشيراً إلى هؤلاء المعلمين الرافضين للحق، إن الطهارة أمر يتصل بالعقل والضمير وليس بالأشياء من حولنا فى هذا العالم، فالطهارة والنجاسة داخل نفس الإنسان وليس خارجه. ولذلك يقول الرسول "**وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شيء طاهراً بل قد تنجس ذهنهم أيضاً وضميرهم**".

يقول دونالد جوثرى "إن الذهن الطاهر لا يمكن أن تنجسه الاحتكاكات الجسدية، ويضيف "إن أساس الطهارة هو الضمير وإذا ما دخلت النجاسة إليه فإن الذهن والأعمال أيضاً تتنجس". ويقول كلفن "إن هؤلاء النجسين لا يمكن أن يلمسوا شيئاً دون أن ينجسوه، لأنه بالنسبة لهم لا يمكن أن يكون شيء طاهراً".

ولقد تغنَّى كثيرون من الكتَّاب الكبار بهذا المبدأ، فيقول هوراس "إذا لم يكن الإناء نقياً تلوث أى شيء تضعه فيه"، ويقول سينيكا "المعدة المريضة تغيّر كل الطعام الذى يصلها، هكذا العقل المظلم ... فالعقل الملوث يجد فى كل الأشياء اتساخاً".

وهؤلاء وصلوا إلى هذه الحالة لأنهم يدَّعون التدين، إنهم يجاهرون بأنهم "يعرفون الله ولكنهم بالأعمال ينكرونه"، ولذلك استحقوا هذه الوقفة الصارمة من الرسول. ولقد استخدم الرسول ثلاث صفات لوصف سلوك هؤلاء المعلمين الكذبة المدّعين فقال :

١-"**رجسون**" وهى كلمة تعبر عن ازدرائه لهم لريائهم، فالذين يظهرون أنهم يحاربون كل ما هو رجس، هم أنفسهم رجسون. والكلمة تفيد الشيء البغيض المقيت، وكانت تستعمل غالباً عن الآلهة الوثنية.

٢-"**غير طائعين**" لقد سبق وقال عنهم فى (عدد ١٠) "متمردون"، وذلك لأنهم "غير مؤمنين" (عدد ١٥). يقول باركلى "صاحب الضمير المظلم يعجز عن سماع صوت الله، فما بالك بإطاعته".

٣- "**مرفوضون**" وباليونانية adokimoi تعنى – كما يقول جوثرى – الرفض بعد الفحص. وبالرغم أن الرسائل الرعوية تركز على أهمية الأعمال الصالحة، لكنها هنا غير ممكنة، لأن هؤلاء سينكشف أمرهم أنهم غير أهل لأى عمل صالح.

ويضيف باركلى أن الكلمة تعنى أيضاً "بلا فائدة"، وهى تصف جندياً فشل فى المعركة، أو شخصاً غير جدير بمركز، أو حجراً لا يصلح للبناء، وهكذا رُفضوا لأنهم أصبحوا بلا فائدة أو قيمة، وما لا يفيد يضر.

نختم فى النهاية برصد بعض الحقائق الهامة التى يجب على الكنيسة أن تضعها نصب عينيها باستمرار :

الحقيقة الأولى : واضح أن تيارات التعاليم والأساطير

والخرافات والممارسات الزائفة مستمرة وستزداد، خاصة فى عصر الضغوط العنيفة، والسماوات المفتوحة، والسطحية الفكرية والدينية، وشيوع الخرافة، والانحراف للاتجار بالدين أو الانسحاق أمام ميول الممولين .. إلى آخره.

الحقيقة الثانية : التعليم الكتابى واللاهوتى الصحيح يظل دائماً حجر الأساس فى توعية وبناء الكنيسة وتقوية مناعتها، وفى المواجهة الناجحة مع هؤلاء المناقضين والمرتدين عن الحق. كما يجب أن يكون التعليم الغنى هو الدور الرئيسى للرعاة والقيادات الدينية.

الحقيقة الثالثة : استخدام التأديب الكنسى بحب وحزم كان ومازال ضرورة هامة لحماية واستقرار العمل، وتقويم وتصحيح المقاومين ليكونوا أصحاء فى الإيمان. وغياب التأديب علامة ضعف، وسبب من أسباب الفوضى وعدم تقدم العمل الكنسى وامتداده.

الأخلاق المسيحية

يتحدث الرسول بولس إلى تيطس فى الأصحاح الأول عن الإيمان الصحيح، أما فى الأصحاح الثانى وأجزاء من الأصحاح الثالث فيتحدث إليه عن الأخلاق الصحيحة. وهذا يوضحٍ ما سبق شرحه عن العلاقة بين الايمان والأخلاق، وبين التعليم والحياة العملية، وبين المعرفة والفضيلة.

إن الفوضى الأخلاقية تسود اليوم على كل الأصعدة، فعلى الصعيد العالمى ما أكثر ما نرى من انتهاكات لحقوق الإنسان، والكيل بمكيالين، بل بمكاييل، فى التعامل مع المشكلات ذات الطبيعة الواحدة (وما حدث فى العراق فى التسعينيات من القرن الماضى، وما يحدث الآن فى فلسطين المحتلة يؤكد هذه الحقيقة بشكل صارخ وفاضح)، وعلى الصعيد الأسرى يسود التفكك والتفسخ والانحلال، وعلى المستوى الفردى ما أكثر تدنى القيم والمبادىء!!

وأمام هذه الفوضى الأخلاقية فى عالم اليوم، يسأل البعض: ماذا ينبغى أن أعمل، بدلاً من بماذا ينبغى أن أؤمن. والمسيحية لا تقدم لنا مجموعة كاملة من القواعد والتشريعات لكل حالة من حالات السلوك الإنسانى، أو لكل مسألة أخلاقية، أو لكل مشكلة ملحّة عامة أو خاصة. ومن يطالبون المسيحية بذلك يريدون أن تعود بهم خطوة إلى الوراء، إلى طفولة البشرية وخضوعها للناموس (غلاطية ٣ : ٢٣و٢٤). يقول اللاهوتى المعروف إميل برونر: "إن

الدعوة إلى أخلاقيات مرسومة فى قواعد هى فى الحقيقة دعوة إلى الهروب من المسئولية". ولقد حدث بالفعل فى تاريخ الكنائس تدهور مثل هذا.

إن المسيحية تتحدث عن مبادرة الله لخلاص البشر فى حياة وموت وقيامة المسيح، والأخلاق المسيحية تهتم بالفاعل قبل الأفعال نفسها، والسؤال الجوهرى ليس ماذا أفعل، أو هل هذا جائز أو غير جائز، حلال أم حرام، كما رأينا فى الأصحاح الأول، بل السؤال الأكثر أهمية هو: أى نوع من الناس ينبغى أن أكون ما دمتُ قد اختبرت نعمة الله فى المسيح؟ وفى نور معرفتنا لطبيعة الله الذى فدانا، وبالذهن المستنير بروح الله، نرى كل المسائل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية المعاصرة. إذن تهتم المسيحية بالإنسان أولاً.

من هنا أفسح الرسول مساحة كبيرة فى الأصحاحين الثانى والثالث، ليتحدث عن الأخلاقيات المسيحية من حيث اهتمامه بالإنسان والناس فى مختلف أعمارهم ومراكزهم كالآتى:

*أخلاقيات الأسرة المسيحية ١-٦

*أخلاقيات الخادم المسيحى ٧-٨

*أخلاقيات الموظف المسيحى ٩-١٠

أخلاقيات الأسرة المسيحية

(تيطس ٢ : ١-٦)

"وأما أنت فتكلم بما يليق بالتعليم الصحيح. أن يكون الأشياخ صاحين ذوي وقار متعقلين أصحاء في الإيمان والمحبة والصبر. كذلك العجائز في سيرة تليق بالقداسة غير ثالبات غير مستعبدات للخمر الكثير معلمات الصلاح. لكي ينصحن الحدثات أن يكن محبات لرجالهن ويحببن أولادهن. متعقلات عفيفات ملازمات بيوتهن صالحات خاضعات لرجالهن لكي لا يجدف على كلمة الله . كذلك عظ الأحداث أن يكونوا متعقلين".

فى هذا النص نستطيع أن نجد الأفكار التالية :

أولاً: الدعوة: "وأما أنت فتكلم بما يليق بالتعليم الصحيح (١)
إن هذه الكلمة الصغيرة "**أما أنت**" تُعبِّرُ أفضل تعبير عن الفارق الهائل بين نوعين من المعلمين. ففى مقابل المعلمين الكذبة الذين يثيرون المتاعب، الذين يتكلمون بالباطل ويخدعون العقول ويقلبون بيوتاً بجملتها، ينبغى أن تكون أنت يا تيطس مقدماً للتعليم الصحيح "**بما يليق**".

هذا هو تعبير بولس الشهير The Fitness things ويقصد به "الأشياء المناسبة" (أفسس ٥ : ٣ و١ كورنثوس ١١ :١٣ و١ تيموثاوس ٢ : ١٠). إن التعليم الصحيح هو التعليم المناسب لكل فرد فى الأسرة حسب سنه وحسب موقعه ودوره. التعليم الصحيح فى مقابل الهرطقة التى أزعجت الكنيسة، رأيناه فى الأصحاح الأول، والتطبيق العمليّ لهذا التعليم الصحيح هو فى إنتاج سلوك صحيح، ومن هنا بدأ الرسول يتحدث عن الأخلاق المسيحية فى الدائرة الأضيق والنواة الرئيسية، دائرة الأسرة.

ثانياً: الحديث إلى أصحاب السن الأكبر : "الأجداد والجدات" (٢ و ٣):

الأجـــــــداد

الاتجاه الغالب الذى ينبغى أن يظهر فى كبار السن هو نضج الخبرة والتجربة فى الحياة، ويتجلى هذا النضج من خلال ثلاث صفات وثلاثة تطبيقات :

أولاً: **الصفات**:

١- **الصحو:** ويقصد به اليقظة ونضج الإدراك، والاعتدال فى الانفعال بصفة عامة وتعلم القيمة الحقيقية للأمور، وضبط النفس.

٢- **الوقار:** إنه لا يعنى الحزن والكآبة، بل الرزانة ونضج الأفعال، سواء فى وقت الضحك والسرور، أو وقت الغضب والحزن (١ تيموثاوس ٣ : ٨ و١١).

٣- **التعقل:** إنه نضج التصرف الذى يغلب عليه رجاحة وقوة العقل التى تضبط الغرائز والشعور كما فى الترجمة الإنجليزية RV والكلمة اليونانية Sophron تشير إلى ضبط النفس وترجمها موفات أن يكون الإنسان "سيداً لنفسه". ومن مآسى الحياة أن تصادف شخصاً فى خريف العمر لكنه لم يتعلم شيئاً من السنين. أما أليهو فيقول فى سفر أيوب "قلت الأيام تتكلم، وكثرة السنين تظهر حكمة (أيوب ٣٢ : ٧-٩). أو على الأقل، هكذا ينبغى أن يكون الأمر. وأمامنا نابال الذى لم يتعلم من حكمة الأيام، فقادته حماقته إلى نهاية مؤسفة.

وهذه الصفات التى تعنى نضج الإدراك والانفعال والتصرف تترجم فى ثلاثة تطبيقات .

١- **صحة الإيمان:** فتجارب الحياة ينبغى أن تعمق ثقة المسيحى

فى شخص الله.

٢- **صحة المحبة:** لا يجب أن تنتزع منا الأيام والسنون رقة المشاركة، والشعور والقدرة على التعاطف مع آراء وأخطاء الآخرين، والقدرة على تقبل الجديد. فالكبار معرضون لخطر الميل نحو النقد واللوم وعدم الاحتمال، وعدم المشاركة، والثقة الزائدة بالفكر الشخصى والطرق الشخصية، ورفض طرق وأفكار الآخرين الجديدة. ولذلك يجب أن يُترجم الإيمان الصحيح فى محبة صحيحة.

٣- **صحة الصبر:** يجب أن تعطى السنون مرونة أكثر للتحمل والانتصار بدلاً من العكس. وهكذا يمكننا أن نستنتج أن صحة الإيمان يجب أن تعلمنا أن نحب الآخرين، وفى حبنا لهم نتعلم كيف نتأنى ونصبر. والربط بين الإيمان والمحبة والصبر نجده فى (١ تيموثاوس ٦ :١١و ١٢، ٢ تيموثاوس ٣ : ١٠، ١تسالونيكى ١ : ٣١). صحيح إن الرسول يستخدم عامة ثالوث الإيمان والمحبة والرجاء،لكن الصبر وطول الأناة خير تعبير عملى عن الرجاء.

الجـــــــدات

أما النضج فى حياة الجدات فى (آية ٣) فيظهر فى السيرة المقدسة أو السلوك الوقور، وهذه وذاك يظهران فى مجالين مهمين هما :

١- **ضبط اللسان:** "**غير ثالبات**"، إنهن لا يخطئن أبداً بترويج الإشاعات، ولا يعشن حياة القيل والقال، ولا تخرج من أفواههن إلا الكلمة الطيبة المشجعة البانية.

٢- **ضبط الرغبات:** "**غير مستعبدات للخمر**"، وهذه الخطية كانت تظهر بين النساء فى كريت، أما الرسول بولس فيحذر منها.

والدور الإيجابى الذى تقوم به الجدات هو أولاً "**معلمات الصلاح**" (٣)، وثانياً "**ينصحن الحدثات**" (٤). وهذا الدور الهام لا يعنى أبداً التدخل أو التسلط، بل يعنى فقط نقل الخبرة فى حكمة ووداعة واتضاع ومحبة، وهذه هى الخبرة المسيحية الصالحة،خبرة الصلاح التى تعلم كل ما هو للخير.

كذلك، فإن للجدات والأجداد دوراً هاماً فى توريث الإيمان للأحفاد "..**إذ أتذكر الإيمان الذى فيك الذى سكن أولاً فى جدتك لوئيس وأمك أفنيكى ولكنى موقن أنه فيك أيضاً**" (٢تيموثاوس ١ : ٥). قال أحدهم "إن الجدات اللاتى اكتسبن من سنى العمر الطويلة جمال الخلق وهدوء الطبع ورقة الإحساس وحساسية الفهم، لهن دور هام يلعبنه فى حياة الكنيسة والمجتمع، دور يخصهن ولا يصلح له غيرهن".

ثالثاً: الحديث إلى أصحاب السن الأصغر (٤ -٦):

١- **الزوجات (أعداد ٤و٥):** هذا الجزء يمثل شيئاً متغيراً طبقاً لمكانة المرأة ومفهوم الاحترام. إن رسالة البيت رسالة مقدسة يجب أن يؤدى بكل التكريس والحب والأمانة "**لكى لا يجدف على كلمة الله** " (٥ب) **لذا يجب أن تكون الزوجات** :

- **محبات لرجالهن ويحببن أولادهن:** يتعلمن مبادئ الحياة المسيحية حتى تستقر بيوتهن بدلاً من تعرضها للضرر (١١ :١). إن البعض من الأمهات يفتقرن إلى مشاعر الأمومة، أو يضعن النجاح الشخصى قبل مصلحة الأولاد. فيهملن الأولاد -خاصة فى مراحل مهمة من التنشئة.

- **متعقلات:** أى رزينات ضابطات لنفوسهن كما فى (عدد ٢).
- **عفيفات:** أى طاهرات (١تيموثاوس ٥ : ٢٢).
- **ملازمات بيوتهن:** هذه العبارة قد تعنى "مكرسات لبيوتهن" بمعنى الملازمة، ولكن فى ترجمة للدكتور القس عبد المسيح اسطفانوس والقس غسان خلف جاءت هذه العبارة "مهتمات بشئون بيوتهن". ويقول الدكتور عبد المسيح "إن النص البيزنطى (Textus Receptus) الذى ظل أساساً للترجمات لسنوات طويلة، ترد فيه الكلمة Oikourous أو , Oikouros والتى تعنى فعلاً ملازمة البيت.

إلا أن اكتشاف المخطوطات القديمة أكد تماماً أن الكلمة كانت أصلاً Oikourgous والتى تعنى الاهتمام بشئون البيت والاعتناء به. لدرجة أن الحاشية النقدية فى العهد الجديد باللغة اليونانية لا تشير إلى قراءة بديلة، ولا تقدم قائمة بالمخطوطات التى ترد فيها هذه أو تلك باعتبار أن الأمر محسوم تماماً.

لقد كان المفهوم السائد فى المجتمع اليونانى قديماً وخاصة فى كريت أن "المرأة المحترمة تعيش حياة منعزلة تماماً، لا يدخل عندها إلا زوجها" لذا عليها أن تلازم البيت. لكن هذا ليس تعليماً عاماً ضد عمل المرأة ودورها فى المجتمع الآن، قدر ما هو تعليم ينبر على ضرورة اهتمام المرأة بالبيت تأثراً بالبيئة الشرقية.

إن الشئ الثابت فى هذا النص هو الحقيقة البسيطة الدائمة، أنه لا يوجد فى هذا العالم شئ يفوق عمل ومسئولية وامتياز ورسالة البيت بالنسبة للمرأة.فكم من

رجل عظيم وضع بصماته على العالم لأنه وجد فى البيت من يعتنى به ويحبه ويشجعه.

يستطيع العالم أن يعيش بدون اجتماعات ولجان، ولكنه لا يستطيع أن يحيا بدون بيت، والبيت لا يكون بيتاً عندما تغيب عنه "ربة البيت". لكن اهتمام المرأة بشئون بيتها لا يعنى أبداً ملازمة البيت، فى عصر استطاعت فيه المرأة أن تكون شريكة للرجل فى كل المواقع فى المجتمع، وفى الأسرة على قدم المساواة. فى الوقت الذى فيه توجّه نفس الدعوة للرجل ليهتم بشئون بيته وزوجته وأولاده.

- **صالحات :** عطوفات، طيبات (متى ٢٠ : ١٥) من كلمة agathos أى صالح.
- **خاضعات لرجالهن:** خضوع المحبة المتبادلة (أفسس ٥ :٢١ – ٢٢، كولوسى ٣ :١٨) وهى من الكلمة اليونانية hupotasso بمعنى خاضع أو مطيع. والهدف الكبير من الاهتمام بالسلوك عامة والأسرة خاصة هو : "**لكى لا يجدف على كلمة الله**" التى أعلنت السيدات إيمانها بها. فيبدو أن بعض النساء أسأن فهم واستخدام الحرية الجديدة بطرق غير مقبولة من المجتمع فى ذلك الوقت، وأراد الرسول الموحى إليه بالروح القدس، تصحيح هذه الأوضاع.

٢- **الشباب (عدد ٦):** الشباب فى جملة واحدة يقول الرسول "**كذلك عظ الأحداث أن يكونوا متعقلين**"، ويالها من جملة صغيرة لكنها محملة بالمعانى. فالتعقل هو الذى يحفظ الحياة فى أمان، رغم كل شىء. رغم الدم الساخن، والمشاعر الهائجة، وفرص الخطأ، وانعدام الخبرة. ورغم الإغراءات الكثيرة، لكن مع كل ذلك هناك مجد الشباب فى القدرة على

التعقل وضبط النفس. ولذلك يبدأ الرسول العبـــارة بالكلمـــة "عظ" وهى فى اليونانية parakaleo ، وهى أقوى من كلمة "تكلم" lalei التى جاءت فى (تيطس ٢ :١).

أخلاقيات الخادم المسيحى

(تيطس ٢ : ٧و٨)

"مقدماً نفسك في كل شيء قدوة للأعمال الحسنة ومقدماً في التعليم نقاوةً ووقاراً وإخلاصاً. وكلاماً صحيحاً غير ملوم لكي يخزى المضاد إذ ليس له شيء رديء يقوله عنكم."

واحدة من المشكلات الكبرى فى أى مجتمع أو جماعة، هى غياب القدوة، والقائد المسيحى يجب أن يمثل عملياً القدوة الحسنة فى الحياة (٧أ)، وفى التعليم (٧ب، ٨).

أولاً: القدوة فى الحياة (٧أ) :

"**مقدماً نفسك فى كل شىء قدوة للأعمال الحسنة**"، وكلمة "**قدوة**" تعنى حرفياً بصمة أكليشيه أو طبق الأصل أو مثال. واستخدم الرسول هذه الكلمة فى حديثه إلى تيموثاوس :"**لا يستهن أحد بحداثتك، بل كن قدوة للمؤمنين فى الكلام فى التصرف فى المحبة فى الروح فى الإيمان فى الطهارة أى كن قدوة فى كل شىء**".

وقال الرب يسوع فى عظة الجبل :"**أنتم ملح الأرض، ولكن إن فسد الملح فبماذا يملح؟ لا يصلح بعد لشىء إلا لأن يطرح خارجاً ويداس من الناس. أنتم نور العالم، لا يمكن أن تخفى مدينة موضوعة على جبل، ولا يوقدون سراجاً ويضعونه تحت المكيال، بل على المنارة، فيضىء لجميع الذين فى البيت. فليضىء نوركم هكذا قدام الناس لكى يرى الناس أعمالكم الحسنة، فيمجدوا أباكم الذى فى السموات**" (متى ٥ : ١٣ – ١٦).

وقال أحد رجال الله : "إن مسؤوليتنا ليس فقط أن نكلم الناس عن المسيح، بل أن نريهم المسيح." ولا يوجد شيء يدمر الرسالة أكثر من انحدار مستوى القيادات والمؤمنين أخلاقياً سواء في العلاقات مع الناس أو في المال ..الخ. إن القدوة الصالحة والأعمال الحسنة ضرورة حتمية لحياة الخدام. لذلك يقول الرسول في (تيطس ٢ : ١٤) "**الذي بذل نفسه لأجلنا لكي يفدينا من كل إثم ويطهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً في أعمال حسنة.**"

ثانياً: القدوة في التعليم (٧ب، ٨) :

الحياة أولاً ثم التعليم ثانياً، فالتعليم المواكب للقدوة يجب أن يكون صالحاً وصحيحاً. انظر العلاقة بين (تيطس ١ :١٦) عن الذين يجاهرون بأنهم يعرفون الله ولكنهم ينكرونه بأعمالهم، وبين (تيطس ٢ :١) عن تيطس الذى يتكلم بما يليق بالتعليم الصحيح، وبين (تيطس ٢ :١٤) عن النعمة المعلمة والشعب الخاص الغيور في أعمال حسنة.

وهنا يتحدث الرسول عن :

١- **عملية التعليم (٧ب) : "مقدماً في التعليم نقاوة"** : والنقاوة عكس الزيف، فهو يطلب تعليماً لا تشوبه شائبة. وهذه الكلمة تشير إلى دوافع الخدمة والتعليم، هل الرغبة فيه هو إعلان الذات، إظهار المعرفة، حب الزعامة، إغراء السلطة، المال ...الخ، أم بنيان جسد المسيح بإخلاص.

* "**... ووقاراً**" وهذه الكلمة وردت أيضاً في (١ تيموثاوس ٣ : ٨ – ١١) وهي تعني الكرامة أو الإحساس بالمسؤولية والجدية في التعليم.
* "**... وإخلاصاً**" وهذه الكلمة لم ترد في العديد من المخطوطات القديمة، حتى إن عدداً من الترجمات أسقطتها، لأنها متضمنة في عبارة "**مقدماً من التعليم نقاوة**" سواء نقاوة الدوافع أو نقاوة التعليم.

٢-**مضمون التعليم** (٨) : ليس فقط الطريقة أو عملية التعليم The manner هى المهمة، بل أيضاً مضمون أو محتوى التعليم ذاته. The matter. ما الذى يجب أن يّميز مضمون التعليم ؟:

- "**كلاماً صحيحاً غير ملوم**" : هنا استخدمت كلمة Logos للتعبير عن المضمون، وهى تختلف عن كلمة didaskalia التى قيلت عن الطريقة فى (٧ب). "**غير ملوم**" akatagnostos أى "**لا مأخذ عليه**". أى أن مسؤولية الخادم الذى يتصدى للتعليم أن يقدم تعليماً لا يدان أو يلام عليه، وأن يكون تعليمه "صحيحاً" كتابياً ولاهوتياً، وبالتالى فى "العمق" وما يتطلبه ذلك من جهد الإعداد والاستعداد.

لنذكر أنه مطالب أن يقدم فى التعليم "**نقاوة**" : أى أن يكون التعليم صحيحاً. "**ووقاراً**": أى أن الخادم يجب أن يكون جاداً مسؤولاً مستعداً وأن لا يضيّع وقته فى الأمور الجانبية أو الثانوية، بل عليه أن يعطى الوقت الكافى للاستعداد والتعليم.

الهدف

يقول الرسول فى آخر العدد الثامن "**لكى يُخزى المضاد إذ ليس له شىء ردىء يقوله عنكم**". هذا هو الهدف، وكلمة "**ردىء**" تعنى "سيئ" Phaulos أو "تافه" Worthless، وهذه الكلمة جاءت فى (رومية ٩ : ١١، ٢ كورنثوس ٥ : ١٠). أما كلمة "**المضاد**" فهو الخصم.

يقول الرسول بطرس "**تفعلوا الخير فتسكتوا جهالة الناس الأغبياء**" (١ بطرس ٢ : ١٥) أى يخجل أصحاب القيل والقال إذ لا يجدوا فرصة عليكم. ويعلق دونالد جوثرى Donold Gothrie على هذه العبارة قائلاً: "إن هذه العبارة لا تعنى أن المضاد لن يجد دائماً ما يقوله أو يسىء به إلى الخدام

والمؤمنين، لكن المقصود أنه لن يجد شيئاً صحيحاً أو قانونياً يقوله عنكم". وربما هذا ما قصده الرسول فى (١كورنثوس ١١ : ٣١) عندما قال "**لأننا لو كنا حكمنا على أنفسنا لما حُكِم علينا**".

أخلاقيات الموظف المسيحى

(تيطس ٢ : ٩و١٠)

"**والعبيد أن يخضعوا لسادتهم ويرضوهم في كل شيء غير مناقضين. غير مختلسين بل مقدمين كل أمانة صالحة لكي يزينوا تعليم مخلصنا الله في كل شيء.**"

ما أكثر المرات التى يُساء فيها فهم المعنى الحقيقى للخضوع!، فبين "الخنوع" من ناحية "والتمرد ورفض السلطة أو النظام" من ناحية ثانية، يتأرجح كل منا فى فهم معنى الحرية ويمكننا أن نرى ذلك فى محيط البيت أو العمل أو الكنيسة.

فى هذه الآيات كما فى (١تيموثاوس ٦ : ١) يقدم الرسول بولس بعض المبادئ التى تحكم العلاقة بين العبيد وسادتهم، والآن بين الموظفين والرؤساء، والتى يمكن تلخيصها فى ثلاثة مبادئ :

المبـــادىء

١- **الخضوع للرؤساء** : نقرأ فى رسالة أفسس وكولوسى كلمة"**يطيعوا**"hupakouo ، ونقرأ هنا عن "**يخضعوا**" hupotasso وهى كلمة أقوى ليحثهم على إطاعة أوامر العمل، وعدم إساءة فهم معنى الحرية التى نالوها فى المسيح.

الكفاءة : "**يرضوهم فى كل شىء**". جاءت هذه الكلمة أيضاً فى (عبرانين ١٣ : ٢١) عن إرضاء الله، فالمسيحى لا يقدم أقل من الأفضل فى كل ما يوكل إليه، لأنه يؤمن بثقافة الدقة والإنجاز، فى مجتمع فقد الكفاءة والتجويد

واعتمد على الفهلوة والكسل.

"**غير مناقضين**" euarestos أى "غير معاندين" حتى لا تفسد خطط العمل (كما فى الترجمة القياسية RV). إن الرسول يحرض على الكفاءة فى العمل لا الاعتراض أو المعارضة أو سوء الطبع الذى يهدد مصالح العمل، فالمسيحية لا تلغى الخطوط الضرورية لتوزيع السلطة.

٢- **الأمانة:** وترد فى صورتين : سلباً "**غير مختلسين**" "nosphizo" ثم إيجاباً "مقدمين endeiknumi **كل أمانة صالحة**" أى أن المسيحى يحتفظ بيدين عاملتين نظيفتين فى مجتمع الاختلاس والرشوة. إنه يقدم برهاناً على مسيحيته عملياً بالأمانة الصالحة. ترد هذه الآية فى بعض الترجمات كالآتى :"**ولا يختلسوا شيئاً، بل يظهروا كل أمانة على أحسن وجه**". إن المسيحى هو شخص يثق فيه الرئيس ويعتمد عليه فى خدمته ... وهكذا يكسب الموظف المسيحى احترام الجميع بكفائته وأمانته ووفائه.

التأثير

الأثر والتأثير على المسيحيّة وعلى المجتمع الخارجى :

- على المسيحية : يقول الرسول "**لكى يزّينوا تعليم مخلصنا الله**" والفعل "**يزيّنوا**" الذى يستخدمه الرسول فى اليونانية Kosmeo يُقصد به تنظيم الجواهر لإبراز كل جمالها. وهذا ما يحدث للمسيحيّة إذ تظهر جميلة فى عيون الناس، من خلال الأعمال الصالحة للمؤمنين. "**فى كل شىء**". أى فى كل أمر، أو كما يقول جوثرى أن الصياغة اليونانية enpasin التى تُرجمت "فى كل شىء" يمكن أن تدل على المذكّر فتصبح "فى كل الرجال". أى أنها فرصة للجميع ليتغلغلوا فى كل المجتمع عن طريق شهادة سلوكهم العملى.

- على المجتمع : إن شهادة المؤمنين من خلال السلوك المسيحىّ هى أقوى وأقصر الطرق للتأثير فى المجتمع بين كل طبقاته ومع كل نوعيات الناس. وكما رأينا فإن عبارة "فى كل شىء" تعطى معنى قدوة الحياة وقوة الشهادة.

من هنا نصل إلى أن رسالة وتأثير الموظف المسيحى فى مكان عمله هامة وخطيرة، ليست سهلة لكنها فعّالة. وإذا عاش المسيحى حقاً بهذا المقياس، قلّت شرور المجتمع وظهرت قوة المسيحية فى التفاعل مع أصعب العلاقات، ثم انجذب الناس بجمال حياته إلى احترام مسيحه واحترام مسيحيته. إنها المنبر المتنقل والعظة الحية المطلوبة الآن وسط المجتمع.

هناك الكثيرون من البشر الذين لم يدخلوا الكنيسة بعد، وهناك أيضاً من لم تستطع الكنيسة الوصول إليهم، فكيف يرى هؤلاء المسيحيّة ويتعرفون عليها ؟!

يُحكى عن القديس فرنسيس الأسيزى أنه طلب من أحد الرهبان أن يرافقه إلى قرية ما ليعظا الناس بالإنجيل، فوافق وذهبا كلاهما معاً. وتوقفا أثناء السير ليكلما هذا وذاك وقضيا وقتاً للشركة والتشجيع والتدعيم مع بعض البيوت، ولعبا مع بعض الصغار، وتبادلا الحديث والتحية مع بعض المارة، ثم بدأت رحلة العودة. وهنا قال الراهب : "ولكن يا أبى متى نعظ؟ "فابتسم القديس قائلاً :"نعظ ؟ إن كل خطوة وكلمة وعمل قمنا به هو عظة". إن العظة الوحيدة التى يمكن أن يستمع ويستمتع بها من لا يذهب إلى الكنيسة هى حياة المسيحى فى العمل وفى المجتمع.

ولذلك نلاحظ أن الرسول بعد أن رصد أخلاقيات كل فئة سواء الأسرة أو القائد الخادم أو الموظف يقول "لكى"، فبعد الحديث عن الأسرة يقول "**لكى لا يُجدف على كلمة الله**" (٦)، وبعد الحديث عن الخادم يقول : "**لكى يُخزى المضاد إذ ليس له شىء**

ردىء يقوله عنكم" (٨) وبعد الموظف يقول : "**لكى يزينوا تعليم مخلصنا الله فى كل شىء**". وهذا هو الهدف الكبير والنهائى من عمل المسيح الفدائى لأجلنا، فهو "**بذل نفسه لأجلنا، لكى يفــدينا من كل إثم، ويظهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً فى أعمال حسنة**" (١٤).

الأساس اللاهوتى للأخلاق المسيحيّة

(تيطس ٢ : ١١- ١٥)

"لأنه قد ظهرت نعمة الله المخلصة لجميع الناس. معلمة إيانا أن ننكر الفجور والشهوات العالمية ونعيش بالتعقل والبر والتقوى في العالم الحاضر. منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح. الذي بذل نفسه لأجلنا لكي يفدينا من كل إثم ويطهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً في أعمال حسنة. تكلم بهذه وعظ ووبخ بكل سلطان لا يستهن بك أحد."

لأن القيم والأخلاق تتبع من إيمان وفكر، لهذا ترى أداة الربط "**لأنه**" فى بداية (عدد ١١) الذى يمثل خاتمة للفقرة السابقة، ومدخلاً لهذه الفقرة، التى تضع الأساس اللاهوتى للأخلاق المسيحية. والأساس هنا إذن هو "**ظهور نعمة الله المخلصّة لجميع الناس**". ويستخدم العهد الجديد هذا الفعل "ظهر" epiphaino أيضاً فى (لوقا ١ : ٧٩، أعمال ٢٧ : ٢٠) ويستخدمه الرسول بولس هنا وأيضاً فى (٣ : ٤) للإشارة إلى المجيء الثانى فى الرسائل الرعوية. ونلاحظ هنا ارتباط الخلاص والتحرير من قوة الخطية بنعمة الله (١٤) التى هى ينبوع الخلاص (٢ تيموثاوس ١ : ٩و١٠).

كما نرى أيضاً فى هذه الأعداد عمومية الخلاص، أى أن الخلاص ممكن ومتاح لجميع الناس كما يقول Simpson، أو جميع الطبقات حتى العبيد على حد تعبير Lock. وهذه النعمة المخلّصة للجميع تعلّم الجميع، "**معلّمة إيانا**" (١٢). ومن خلال تعليم النعمة لنا لنفهم الإنجيل، (أو تدريب النعمة لنا على ما جاء فى ترجمات أخرى)، يستنير الذهن وتتشكل شخصية المؤمن.

إنها إذن قوة النعمة التى تفدى وتطهر كما جاء فـــى آيـــة (١٤) "**لكى يفدينا من كل إثم ويطهر لنفسه شعباً خاصاً**".

لكن ما الذى تعلمه لنا هذه النعمة؟

أولاً: تعلمنا الإنكار ومعنى الحياة فى العالم الحاضر (عدد ١٢) :

إنها فى صيغة سلبية تعلمنا أن "**تنكر**"، وفى صيغة إيجابية تعلمنا أن "**نعيش**"، فهى تعلمنا أن ننكر الفجور asebeia، وهذه الكلمة اليونانيـــة تعنـــى عـــدم الصـــلاح ungodliness أو الكفـــر ireligious. لأن الفجور نقيض التقوى.

كمـــا تعلمنـــا النعمـــة أيضـــاً أن ننكـــر "الشـــهوات العالميـــة" Kosmikais epithumiais وهذه الكلمة تعنى "شهوات هـــذه الدنيا" wordly lusts، وهذه الشهوات هى الرغبات التى ترتكز كلية على نظام العالم بعيداً عن الله، والتى نخجل من أن يراهـــا الله فينا (يوحنا ٧ : ٧، ١ كورنثوس ١ : ٢١).

أما من الناحية الإيجابية، فالنعمة تعلمنا "**أن نعيش بالتعقل والبر والتقوى فى العالم الحاضر**" (تيطس ٢: ١٢، متـــى ٢٣ : ٢٣)، إنها تعلمنا أن نعيش معنى وفن الحيـــاة المســـيحيّة. أن نعـــيش "**التعقل**"، وهذه الكلمة وردت فى عـــددى ٢و٥ فـــى معـــرض الوصايا التى يقدمها الرسول للأشياخ والعجائز. والتعقـــل فـــى التعامل مع النفس هو الاعتدال ورجاحة العقل، وضبط الـــنفس، واليقظة والصحو. "**والبر**" كما فى (١تســـالونيكى ٢ :١٠) هـــو الصلاح والرحمة والمحبة وكل ما يؤدى إلى علاقة صحيحة مع القريب.

أما "**التقوى**" فهى مخافة الله والإيمان والطاعة لوصاياه، وكل ما يؤدى إلى علاقة صحيحة مع الله.

ثانياً: تعلمنا النعمة الانتظـــار الصـــحيح للمســـتقبل (الأعـــداد

١٣و١٤) :
إن نعمة الله التى ظهرت فى المجيء الأول للمسيح، وستظهر أيضاً فى المجيء الثانى له، تعلمنا أن نحيا الحاضر وعيوننا على المستقبل. وهذه الآية ترد فى الترجمة الحديثة كالتالى : "**منتظرين اليوم المبارك الذى نرجوه، يوم ظهور مجد إلهنا العظيم ومخلصنا يسوع المسيح، الذى بذل نفسه لأجلنا لكى يفدينا من كل إثم ويطهرنا لنفسه**". ولكن كيف؟

من خلال هذه الآية (عدد ١٣) تعلمنا النعمة الانتظار بإدراك واع **للمركز** أو الامتياز وإدراك واع **للدور** أو المسؤولية.

إدراك المركز

تفيد عبارة "**شعباً خاصاً**" Periousios المعانى التالية:

* **التخصيص والملكية :** لقد صارت الكنيسة هى شعب الرب الخاص به فى العهد الجديد، وكل امتيازات الشعب القديم قد صارت الآن للكنيسة. إننا شعبه الخاص به private people، قد اختارنا من كل أمة وشعب وقبيلة ولسان لندخل فى علاقة خاصة به Chosen for a special relationship.

قال الله للشعب القديم: "**فالآن إن سمعتم لصوتى وحفظتم عهدى، تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب فإن لى كل الأرض**" (خروج ١٩ : ٥) وفى (تثنية ٧ : ٦)

"● ● ● **إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض**" وفى العهد الجديد يعلم الرسول بطرس قائلاً :"**وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكى أمة مقدسة شعب اقتناء لكى تخبروا بفضائل الذى دعاكم..**" (١بطرس ٢ : ٩). إن علاقتنا بالله

علاقة خاصة وشخصية.

* **القيمة والمكانة :** إن قيمتنا فى عينىّ الرب عظيمة ورائعة. إنه ينظر إلينا على أننا "كنزه" Peculiar treasure أو "غنائمه" أو "جواهره" الثمينة. وكما قال الأب عن يسوع "هذا هو ابنى الحبيب "الغالى"، هكذا يرانا أيضاً فيه فى نفس الغلاوة والمكانة. وما تعليم الرب يسوع

فى (متى ١٣ : ٤٤ — ٤٦) والخاص بالكنز واللؤلؤة إلا تعبيراً عن القيمة الغالية لشعب الله فى ملكوت الله. قال الرسول بولس : "**لأننا نحن عمله..** " تحفته الغالية وقصيدته الشعرية الرائعة HIs Master Piece.

- **الرعاية والحماية :** إن الله مسؤول عن شعبه ليرعاه ويحميه، فمنذ القديم ميّز الله بين شعبه والشعوب الأخرى. حمى الله الشعب وضمن نجاتهم أثناء الضربات العشر التى جاءت على فرعون وشعبه :"**ولكنى أميّز فى ذلك اليوم أرض جاسان حيث شعبى يقيم حتى لا يكون هناك ذبأن**". وفى ضربة الظلام الدامس :"**ولكن جميع بنى اسرائيل كان لهم نور فى مساكنهم**" (خروج ١٠ : ٢٣)

وفى ترنيمة موسى يصور المرنم حماية الله لشعبه أثناء خروجهم من مصر وعبور البحر قائلاً :"**حينئذ يندهش أمراء آدوم، أقوياء موآب تأخذهم الرجفة، يذوب جميع سكان كنعان، تقع عليهم الهيبة والرعب، بعظمة ذراعك يصمتون كالحجر حتى يعبر شعبك يارب، حتى يعبر الشعب الذى اقتنيته**" (خروج ١٥ : ١٥و١٦)، بالصدق

قال المرنم :"**الرب راعىّ ● ● ●**" (مزمور ٢٣ : ١)

"**لأنه تعلق به أنجيه**" (مزمور ٩١ : ١٤).

إدراك الدور

إن الله فدانا بالمسيح لكى يخلص و"**يطهر ● ● ● شعباً غيوراً فى أعمال حسنة**" (١٤) وهذه الآية تشير إلى دورنا من زاويتين :

***مسؤولية الحياة** : كلما جاء الحديث عن الشعب الخاص واختياره جاء الحديث عن العهد وحفظه والحياة المقدسة والأعمال التى تليق بالتوبة كثمر للإيمان. فإيمان بدون أعمال ميت فى ذاته، قال الرب للشعب قديماً:"**لأنك شعب مقدس للرب إلهك وقد اختارك الرب لتكون شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب..**" (تثنية ١٤ : ٢).

وكما ورد فى (تثنية ٢٦ : ١٧ ـــ ١٩) : "**قد واعدت الرب إلهك اليوم أن يكون لك إلهاً وأن تسلك فى طرقه وتحفظ فرائضه ووصاياه وأحكامه لتسمع لصوته. وواعدك الرب اليوم أن تكون له شعباً خاصاً كما قال لك وتحفظ جميع وصاياه. وأن يجعلك مستعلياً على جميع القبائل التى عملها، فى الثناء والاسم والبهاء وأن تكون شعباً مقدساً للرب إلهك**".

وتحدث الرسول بطرس قائلاً :"**أما أنتم ● ● ● أمة مقدسة**" (بطرس الأولى ٢ : ٩). إنها مسؤولية ضخمة فى مجتمع متغير معقد مزدحم بقيم مضادة ومختلفة عن قيمنا الإيمانية. إنها باختصار سباحة ضد التيار(انظر ١ تسالونيكى ٥ :١٤، ١ تيموثاوس ٦ :٢، ٢تيموثاوس ٤ : ٢و٦و٩، ٣ :٨).

***مسؤولية الرسالة :** إن الخصوصية والاختيار للشعب مرتبط برسالة. اختارنا الله لرسالة، لدور، لهدف. لنخبر بفضائل الذى دعانا من الظلمة إلى نوره العجيب. وهذا هو معنى من ضمن المعانى المقصودة فى الأعمال الحسنة أو أعمال المحبة لله والناس. أن نصالح الناس مع الله إذ "**نسعى كسفراء عن المسيح**" (٢كورنثوس ٥ : ٢٠) حتى "**يضىء نوركم**" فيتمكن الناس من الرؤية ويتمجد الآب فى السموات. (متى ٥ : ١٦، إشعياء ٤٠ : ٣، لوقا ٣ : ٤- ٦).

نحتاج أن نمارس أعمال المحبة فى مجتمع متعب قلق حائر

ممزق جائع مهزوم يائس مكتئب شقى ومريض • • • أن نجول نصنع خيراً وأن نقدم الله فى حبنا للناس. نحتاج أن نفعل ذلك فى "غيرة" مقدسة، لا بتراخى أو سلبية أو عدم مبالاة، بل لنعمل عمل الرب بكل القلب.

وفى الختام :

- **لنختبر** عمل الله الكامل فى حياتنا، فكل هذا هو هدف الفداء : أن نحيا له، وأن نحيا حياة مقدسة وأن نخدمه بأمانة

• • • بلا تجزأة أو تفتيت لعمل الله الواحد الكامل. إن الأعداد الواردة فى (تيطس ٢ : ١١- ١٤) تبين المجال الكبير والمتكامل لظهور نعمة الله.

- **لنتمتع** بامتيازاتنا فى المسيح من تخصيص وملكية، من قيمة

ومكانة غالية عزيزة • • • ومن رعاية وحماية تشيع

الأمان والسلام فينا.

- **لنرتفع** إلى مستوى المسؤولية، فى حياة القداســة العمليــة، وفى إيجابية وجدية الخدمة والرسالة. لندرك العلاقة بين:

الامتياز	ومسئولية الخدمة والدور
الإيمان	والحياة العملية
اللاهوت	والأخلاق
القول	وأن نعنى ما نقول ونحياه

خاتمــة

يختم الرسول حديثه فى (عدد ١٥) بثلاثية من الأوامر:

- "**تكلم**" أعلن هذه التعاليم كلها.
- "**عظ**" شجع المحتاجين إلى التشجيع.
- "**وبخ**" أحياناً يفيد الإقناع وأحياناً التوبيخ.
- "**بكل سلطان**" وهى تنسحب على كل ما سبق.

أخلاقيات المواطن المسيحى فى المجتمع

(تيطس ٣ : ١-٢)

"ذكِّرهم أن يخضعوا للرياسات والسلاطين ويطيعوا ويكونوا مستعدين لكل عمل صالح. ولا يطعنوا في أحد ويكونوا غير مخاصمين حلماء مظهرين كل وداعة لجميع الناس."

دائرة من دوائر الأخلاق المسيحيّة الهامة جداً هى دائرة التعامل مع المجتمع الخارجى، وترجع أهمية هذه الدائرة إلى أنها تؤثر على إمكانية وصول رسالة الإنجيل إيجاباً أو سلباً. ودور الكنيسة الهام أن تزّين وتظهر الإنجيل جذاباً للجميع فى المجتمع، وأن تكسب تعاطف ومحبة المختلفين معها عن طريق أخلاقيات المسيحيين وسلوكهم الشاهد لسيدهم.

ويضع الرسول فى هذين العددين بعض الصفات الأخلاقية التى يجب أن يتحلى بها المواطن المسيحى فى المجتمع :

١- **الخضوع والالتزام : "ذكِّرهم أن يخضعوا للرياسات والسلاطين ويطيعوا"** (١أ)، يطلب الرسول هنا من المؤمنين الخضوع للحكام. والالتزام بالنظام والقانون. ولعل هذا التعليم صدى آخر لما ورد فى (رومية ١٣ : ١- ٧)، كما أنه مشابه لما كتبه الرسول بطرس فى رسالته الأولى (١بطرس ٢ : ١٣- ١٧). إن المسيحية تدين بشدة الفوضى والعنف وتدمير المجتمع وإهدار القيم والفضائل، وتحث تابعيها على الولاء للوطن والطاعة للرؤساء.

ويقول Simpson إن كلمة الخضوع هنا هى نفسها ذات الكلمة الواردة عن واجب العبيد نحو سادتهم (فيلبى ٢ : ٩و١٠). أما

الفعل "**يطيعوا**" فى اليونانية Peitharcho، فيعنى طاعة القانون بما يؤدى إلى الانسجام والعلاقة الطيبة مع السلطات المدنية. وربما يكون من المهم أن نشير هنا إلى ضرورة وحكمة عدم تورط الكنيسة فى اضطرابات سياسيّة حتى لا يؤثر ذلك على رسالتها.

٢- **إيجابيّة العمل الصالح : "مستعدين لكل عمل صالح"** (١ب) وينبغى أن يتوافر شرطان للعمل حتى يكون صالحاً :

***الأمانة** : وهى إطار أو ضابط الطاعة. بمعنى على المؤمن أن يكون مطيعاً فى كل عمل أمين نزيه نظيف شريف، وإن لم يكن العمل كذلك، فينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس.

***الفائدة** : ويقصد بها الإيجابية فى العمل المفيد النافع البنّاء. إن الولاء الإيجابى للبلاد يظهر فى الاستعداد لكل عمل صالح، بنَّاء وفى المشاركة بوعى فى الحياة الاجتماعية " • • • **أريد أن تقرر هذه الأمور لكى يهتم الذين آمنوا بالله أن يمارسوا أعمالاً حسنة، فإن هذه الأمور هى الحسنة والنافعة للناس**" (٣ : ٨).

٣- **الاحترام والوداعة : (٢) :**
ويظهر الاحترام فى الامتناع عن التكلم بالشر على أحد، وعدم توجيه إهانة لأى شخص. يقول الرسول "**ولا يطعنوا فى أحد**"، وهذه العبارة تعنى فى الأصل أحد معنيين :

الأول : على المسيحى أن ينتقى ألفاظه كما يختار أفعاله فى أناة وصبر.

الثانى : على المسيحى أن لا يجدف أو يتهكم أو يمتهن

أشياء مقدسة لدى الآخرين (حتى لو كانت الآلهة المزيفة التى يتعبد لها الوثنيون فى كريت)، وهذا المعنى يشير بوضوح إلى ضرورة احترام عبادات وعقائد الآخرين.

ثم يقول الرسول :
"**غير مخاصمين، حلماء، مظهرين كل وداعة لجميع الناس**" (٢ ب). إن عدم الخصام والحلم صفتان تردان ضمن صفات الأسقف أو الراعى التى جاءت فى (١ تيموثاوس ٣ : ٣)، أما الوداعة فهى الكلمة اليونانية Prautos وهى تعنى حرفياً الرقة والدماثة وصنع السلام وعدم الجمود وعدم التمسك بالحرفيّة.

"**أما المباحثات الغبية والأنساب والخصومات والمنازعات الناموسيّة فاجتنبها لأنها غير نافعة وباطلة. الرجل المبتدع بعد الإنذار مرة ومرتين أعرض عنه عالماً أن مثل هذا قد انحرف وهو يخطئ محكوماً عليه من نفسه**" (**٣ : ٩- ١١**). إن الرسول بولس هنا يظهر ارتباط العدالة بالرحمة، فالرحمة تلطّف العدل، والعدل يقوّى الرحمة ويصحّح مسارها بعيداً عن الضعف والإثم.

كما أن العبارة تفيد إظهار الصبر والتسامح والاحتمال لما يواجهه المسيحى شخصيّاً من ظلم أو إساءة، لكنه فى نفس الوقت على استعداد فى رقة ودماثة ان يهب لنجدة من يلاقى نفس المصير من تعسف أو جور، وهو يفعل ذلك لحماية المجتمع والصالح العام. هذا لا يعنى أن لا نطالب بحقوقنا، بل نطالب بها فى إطار أخلاقنا (كما ذكرنا فى ارتباط العدل بالرحمة)، كما يجب أن تكون وداعتنا واحدة فى مواجهة جميع الناس على السواء العالى والمتضع، الصديق والعدو، المسيحى وغير المسيحى.

الأساس اللاهوتى والروحى

(تيطس ٣ : ٣-٧)

"لأننا كنا نحن أيضاً قبلاً أغبياء غير طائعين ضالين مستعبدين لشهوات ولذات مختلفة عائشين في الخبث والحسد ممقوتين مبغضين بعضنا بعضاً. ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه. لا بأعمال في بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس. الذي سكبه بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا. حتى إذا تبررنا بنعمته نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية."

سبق للرسول بولس أن قدم أساساً روحياً ولاهوتياً فى (٢ : ١١ — ١٥)، وهنا أيضاً يقدم الرسول نفس الأساس اللاهوتى لكن بكلمات أخرى.

إن الأخلاقيات المسيحية تنبع أساساً من الطبيعة الروحية الجديدة لمجتمع الرب الجديد، الشعب المفدى الذى اختبر عمل الله فى المسيح. هذا الاختبار وهذا العمل الذى نراه فى جانبين رئيسيين : التعبير والتغيير.

أولاً: التعبير الذى أظهره (الأعداد ٤و٥) :

كيف عبر الرسول عن عمل الله لأجل الناس؟ يقول "**حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه ● ● ●**"، وفى (٢ : ١١) يقول "**ظهرت نعمة الله المخلصة. ظهر لطف الله فى مجىء**

المسيح فى ملء الزمان." والكلمة لطف فى اليونانية Xrystotys أو goodness تحمل الكثير من المعانى. إنها تعنى كرم الله وصلاحه وجودة قلبه الحنّان المحب. إنها تعنى رقة الله وعذوبته التى أظهرها فى المسيح لكل البشر Kindly generosity.

يقول الرسول "**الله الذى هو غنى فى الرحمة، من أجل محبته الكثيرة التى أحبنا بها، ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح**" (أفسس ٢ : ٤) "**ليظهر فى الدهور الآتية غنى نعمته الفائق باللطف علينا فى المسيح يسوع**" (**أفسس ٢ : ٧**) **نعم. إنه غنى لطفه..**" (رومية ٢ : ٤) "**وأما اللطف فلك إن ثبت فى اللطف**" (رومية ١١ : ٢٢).

أما كلمة "**إحسان**" Philanthrpia وتعنى: Loving Kindness، فهى المحبة الحانية المقدّرة للإنسان كإنسان. هكذا فى المسيح ظهر جود ولطف وحب مخلصنا الله، لا على أساس أى استحقاق فينا "**لا بأعمال فى بر عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلصنا**"، "**متبررين مجاناً** (بلا سبب فينا) **بنعمته، بالفداء الذى بيسوع المسيح**" (رومية ٣ : ٢٤).

ثانياً: التغيير الذى أجراه (٣- ٧) :

إنه تغيير كامل وشامل فى حياة الإنسان ككل. وفى هذه الفقرة نرى الإنسان المؤمن وكيف كان فى الماضى، وكيف صار فى الحاضر، وماذا سيكون حاله فى المستقبل، كل ذلك على أساس عمل الله فى المسيح لأجله وبفعل الروح القدس.

١-فى الماضى (٣) :

"**كنا أغبياء**" **:**

أى بلا فهم، وفى عمى ذهن، بعيدين عن معرفة الله، وعن إدراك معنى الحياة. "**أم لستم تعلمون أن الظالمين لا**

يرثون ملكوت الله. لا تضلـــوا. لا زنـــاة، ولا عبـدة أوثان، ولا فاسقون، ولا مأبونون، ولا مضـاجعو ذكـور، ولا سارقون، ولا طماعون، ولا شـتامون، ولا خـاطفون يرثون ملكوت الله، وهكذا كان أناس منكم لكن اغتسلتـم بل تقدستم بـل تبررتم باسم الرب يسوع وبـروح إلهنـا" (١ كورنثوس ٦ : ٩- ١١).

"**كنا غير طائعين**" :

كنا متمردين ضد مشـيئة الله، وضـد الوالـدين، وضـد المجتمع. ثم يورد الرسول بولس قائمة من الخطايا السوداء البشعة التى ميزت حياة ما قبل الإيمان، فيقـول "**ضـالين، مستعبدين لشهوات ولذات مختلفة، عائشين فـى الخبـث والحسد، ممقوتين، ومبغضين بعضنا بعضاً**". يا لـه مـن ماضٍ ملوث وشرير !!

يقول المرنم :

كنا قبلاً فى الخطايا سالكينْ بالذنوبِ والشرور هالكيـنْ
خلصتنا نعمةُ اللهِ الرحيـمْ فى المسيحِ أظهرتْ للعالمينْ

٢-فى الحاضر (٤- ٦) :

"**ولكن حين ظهر لطف مخلصـنا الله بيسـوع المسـيح مخلصنا**". يقول جيريمايس jeremias إن هذا الجزء ربما يكون مقتبساً من ترنيمة خاصة بالمعمودية وعبـارة "غُسـل الميلاد الثانى" يشير إلى جوهر ومعنى المعمودية، التى هـى بدورها إشارة إلى الموت مع المسيح والقيامة معه وفيه. هذه الكلمة "غُسل" باليونانيـة Loutron تعنـى حـوض أو مغسلة وترد فى الترجمة السبعينية – وهى ترجمـة العهـد القديم باللغة اليونانية – لكى تصف العمل أو الفعل "**الغَسْـل**" كما ورد فى (أفسس ٥ : ٢٦) "**مقدساً إياها بغسـل المـاء**

بالكلمة".

إن الله يعطى من خلال المسيح حياة جديدة تماماً بعد موت الحياة القديمة تماماً، حيث يظهر فينا "تجديد الروح القدس" الذى يلدنا ولادة ثانية فى حياة جديدة (يوحنا ٣ : ٥)، ومتجددة باستمرار، حتى يتحقق فينا القول "**إذاً إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة، الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديداً**" (٢ كورنثوس ٥ : ١٧).

فبعد حياة دمرتها الخطية وأضناها الإعياء والتعب تجددنا فى المسيح وصرنا به أولاداً لله (رومية ٨ : ١٤– ٢٣، غلاطية ٤ : ٥– ٧، فى ٢ : ١٥، أفسس ١ : ٥)، تحررنا من ناموس الخطية والموت (رومية ٨ : ٢) "**سالكين لا حسب الجسد بل حسب الروح**" (رومية ٨ : ٩، غلاطية ٥ : ٢٥). لذا نهتف مع الرسول بطرس : "**مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حىّ بقيامة يسوع المسيح من الأموات لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ فى السموات لأجلكم**" (١بطرس ١ : ٣و٤). هذا التجديد أجراه الله فينا بعمل الرب يسوع بفعل الروح القدس الذى سكبه بغنى "بوفرة" علينا بيسوع المسيح مخلصنا.

٣– فى المستقبل (عدد ٧) :

إن المسيحى الحقيقى هو من يعيش بالرجاء، فالأفضل مازال لم يأت بعد، ومهما كان جمال الحياة فى المسيح على الأرض، فإن الحياة الكاملة فى طريقها إلينا، والمسيحى هو من اختبر أعجوبة غفران الخطايا وروعة الحياة الحاضرة مع المسيح، ورجاء الحياة المجيدة التى ننتظرها. وفى (غلاطية ٣) يبدأ الرسول حديثه عن الخلاص بذكر الغفران (٣ : ١١) ويختمه بالحديث عن

الميراث (٣ : ٢٩)، والميراث مع الرجاء يعنى انتظار الامتلاك والنوال الكامل.

وكما ركزّ الرسول فى (١: ٢) على الأساس فى عبارة "**على رجاء الحياة الأبدية**"، يعود الآن فى (٣ :٧) ويقول "**حسب رجاء الحياة الأبدية**". "**فالمسيح فينا رجاء المجد**" (كولوسى ١ : ٢٧)، ونحن نعيش كل يوم "**منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح**" (تيطس ٢ :١٣).

نصائح وتحذيرات

(تيطس ٣ : ٨ – ١١)

"صادقة هي الكلمة. وأريد أن تقرر هذه الأمور لكي يهتم الذين آمنوا بالله أن يمارسوا أعمالاً حسنة. فإن هذه الأمور هي الحسنة والنافعة للناس. وأما المباحثات الغبية والأنساب والخصومات والمنازعات الناموسية فاجتنبها لأنها غير نافعة وباطلة. الرجل المبتدع بعد الإنذار مرة ومرتين أعرض عنه. عالماً أن مثل هذا قد انحرف وهو يخطئ محكوماً عليه من نفسه".

العبارات الأولى والعبارات الأخيرة هامة جداً فى كل رسالة، لأن العبارات الأولى تقدم لفكرة الرسالة، والعبارات الأخيرة تركز على أهم ما يريد الكاتب أن ينبر عليه، لذلك يقدم لنا الرسول فى هذا الجزء الختامى نصاً هاماً يحتوى على بعض النصائح والتحذيرات.

أولاً : النصائح (عدد ٨) :

فى هذه الآية نجد طلباً مسبباً ...

١- **الطلب "صادقة هى الكلمة وأريد أن تقرر هذه الأمور" :**

- الكلمة الصادقة تعود على كل التعاليم السابقة فى الرسالة.
- "**تُقرر**" تعنى "تُوكد أو تُثبت" Speak Firmly، وهذا المعنى عكس المعلمين الكذبة الذين "**يريدون أن يكونوا معلمى الناموس وهم لا يفهمون ما يقولون ولا ما يقررونه**" (١ تيموثاوس ١ : ٧).

٢- **السبب : "لكى يهتم الذين آمنوا بالله أن يمارسوا أعمالاً حسنة، فإن هذه الأمور هى الحسنة والنافعة للناس".**

- "**يهتم**" باليونانية Proistasthai ويُقصد بها الاعتناء وبالإنجليزية to care for أو to maintain.

- "**يمارسوا**" والمعنى الحرفى لهذه الكلمة "يقف أمام"، وكانت تطلق على صاحب المحل الذى يقف أمام متجره وينادى على بضاعته. والمعنى المقصود أن المسيحى لا يمارس إلا ما هو محترم ونافع من التجارة. وفى الترجمة القياسية المنقحة (RSV) تأتى بمعنى "مزاولة الأعمال الشريفة"، وهذا المعنى الثانى المرتبط بالأعمال الحسنة عموماً هو الأكثر ملائمة للقرينة. المسيحى يضع فى "أولويته" الأعمال الصالحة والنافعة للناس.

- علاقة الإيمان بالأعمال الصالحة والنافعة : فالأعمال الحسنة أو الصالحة برهان على صحة الإيمان وترجمة له، "**الذين آمنوا بالله يمارسون أعمالاً حسنة..**"، وهذا التنبير ضرورى جداً وحيوى وواضح فى كل الرسالة، ولحياتنا المعاصرة اليوم فى الأسرة (٢ : ١ – ٦)، والخدمة (٢ : ٧و ٨)، والعمل (٢ : ٩و ١٠)، والمجتمع (٣ : ١ – ٧). والسّر فى كل ذلك هو ظهور النعمة المخلصة والمعلمة (٢ : ١١ – ١٥)، وظهور لطف مخلصنا الله وإحسانه (٣ : ٤ – ٧)، هذه النعمة وهذا الإحسان لابد أن يغيّرا الإنسان فيتحول الإيمان إلى أعمال صالحة نافعة.

يقول الرسول يعقوب (يعقوب ٢ : ١٤-١٧) "**ما المنفعة يا إخوتي إن قال أحد إن له إيماناً ولكن ليس له أعمال هل يقدر الإيمان أن يخلصه. إن كان أخ وأخت عريانين ومعتازين للقوت اليومي. فقال لهما أحدكم أمضيا بسلام استدفئا واشبعا ولكن لم تعطوهما حاجات الجسد فما**

المنفعة. هكذا الإيمان أيضا إن لم يكن له أعمال ميت في ذاته".

ثانياً : التحذيرات (الأعداد ٩ – ١١):

أراد الرسول أن يحذر من أمرين :

١- المناقشات والجدل الذى لا طائل وراءه : (٣ : ٩، ١ : ١٠ – ١٦):

وهى إشارة إلى بعض المعلمين والقيادات الذين يجادلون فى الحلال والحرام، والطاهر والنجس. وفى أنساب خيالية وخرافات لشخصيات العهد القديم. وهم يصرفون الساعات الطويلة فى الجدل لمجرد الجدل، بينما لا يقومون بالأعمال البسيطة المطلوبة للخدمة، وحياتهم بعيدة عن السلوك الشاهد الأمين سواء فى البيت أو فى العمل (١ تيموثاوس ١ : ٤ – ٧، ٦ : ٤). هذه المناقشات لها صفة ولها مضاعفات وتحتاج إلى موقف.

- الصفة : "**غبية**" Foolish بمعنى لا طائل ورائها. وهو نفس المعنى الذى ورد فى (٢ تيموثاوس ٢ : ٢٣).
- المضاعفات : "**الخصومات والمنازعات الناموسيّة**" أى تمزيق الشركة وخلق المشاحنات والمنازعات حول الشريعة.
- الموقف : "**اجتنبها**" هذا الفعل peristemi يعنى "يدير ظهره لشىء" وورد هذا الفعل مرة أخرى فى (٢ تيموثاوس ٢ : ١٦). والسبب فى ضرورة فعل ذلك هو أن هذه المنازعات الناموسية "غير نافعة وباطلة" لا تبنى ولا تنفع.

إن الرسول ليس ضد الحوار الدينى النافع، لكنه ضد المناقشات التى لا تهدف إلى عمل ناقع ولا تنتهى إلى إضافة حقيقية. لذا فهو يدعونا إلى تجنب هذا النوع من الجدل الذى يضيع الوقت، ويهدر الطاقة، ويعطل العمل، ويهدد الشركة

المسيحيّة. إن الكتاب المقدس يحرص على تأكيد ضرورة العمل وخطورة الجدل العقيم.

يقول الرسول يعقوب فى نفس المعنى فى (يعقوب ٣ :١٣ -١٦) "**من هو حكيم وعالم بينكم فلير أعماله بالتصرف الحسن في وداعة الحكمة. ولكن إن كان لكم غيرة مرة وتحزب في قلوبكم فلا تفتخروا وتكذبوا على الحق. ليست هذه الحكمة نازلة من فوق بل هي أرضية نفسانية شيطانية. لأنه حيث الغيرة والتحزب هناك التشويش وكل أمر رديء**".

٢- **صانعو المشكلات** Trouble makers **(عدد ١١):**
"**الرجل المبتدع**" kairetikos لا يعنى "هرطوقى" بالمعنى السائد الآن heretic، لكن الكلمة تعنى أصلاً الشخص الذى ينتمى إلى حزب أو طائفة. ثم أصبحت تعنى الذى يتبنى أفكاراً ضد تعليم وفكر الكنيسة ونظامها المعترف به، ثم يروج لهذه الأفكار ويثير المنازعات والشقاق فى تصلف وعناد، لأنه يرى أنه المقياس والصواب وحده. وينتقل من شخص إلى آخر يثير المذمة ويتحدث بالسوء ويحاول تكوين مجموعة متمردة تابعة له أى "مسبب شقاق". ما هو الموقف الصحيح من شخص كهذا ؟

الموقف : مزدوج : بهدف إصلاح الشخص وحماية العمل .. كيف؟

أولاً : الفرصة: تقدم له الفرصة من خلال "الإنذار مرة ومرتين" لمحاولة التصحيح (١ كورنثوس ١٠ : ١١، أفسس ٦ : ٤)، ولابد أن يُقبل بكل الحب إذا صحّح مساره وعاد إلى السلوك المسيحى الصحيح.

ثانياً : الحسم : "أعرض عنه" Paraiteomai، وهذا الفعل

يعنى "أرفضه" أو "أسقطه من حسابك"، وقد ورد هذا الفعل أيضاً فى (١ تيموثاوس ٤ : ٧). والسبب فى رفض مثل ذلك الشخص هو "**مثل هذا قد انحرف وهو يخطئ محكوماً عليه من نفسه**" (١١).

لأنه : لا جدوى فى مزيد من المحاولات، لأنه "**قد انحرف**" فى عناد. ولأن عناده وخطأه سيحكم عليه ويدينه.

عزيزى القارئ، يريد الرسول أن يترك لنا بعض الحقائق الهامة فى ممارساتنا الكنسية:

- الإيمان الحقيقى لا يُفرق الجماعة بل يوحدها، ولا يمزق الكنيسة بل يجمعها.
- من ينتمى إلى الكنيسة يجب أن ينتمى لفكرها ويخضع لنظامها.
- الفرصة المتكررة، وكذلك الحسم، كلها معاً أدوات مهمة للإصلاح والحماية، وكل جماعة أو كنيسة تفقد الكثير إذا فقدت أداة من هذه الأدوات، وبالاستخدام السليم تقلل عدد المبتدعين أو المشاكسين، وتحد من تأثيرهم الضار على العمل.
- اليقين والإيمان يؤكدان أن الله ساهر على كلمته وعمله، وأن كل آلة تصور ضد الكنيسة وضد عمل الله لن تنجح، وكل لسان يقوم عليهما فى القضاء يُحكم عليه. وأن من يحاول أن يفسد هيكل الله فسيفسده الله.

توجيهات وتحيات

(تيطس ٣ : ١٢- ١٥)

"حينما أُرسل إليك أرتيماس أو تيخيكس بادر أن تاتي إليَّ إلى نيكوبوليس لأني عزمت أن أشتّي هناك. جهّز زيناس الناموسي وأبلوس باجتهاد للسفر حتى لا يعوزهما شيء. وليتعلم من لنا أيضا أن يمارسوا أعمالاً حسنة للحاجات الضرورية حتى لا يكونوا بلا ثمر. يسلم عليك الذين معي جميعاً سلم على الذين يحبوننا في الإيمان النعمة مع جميعكم آمين".

بعد أن قدم الرسول النصائح والتحذيرات فى الأعداد (٨- ١١)، يقدم الآن فى هذه الأعداد بعض التوجيهات والتحيات كعادته فى الرسائل الأخرى.

أولاً : التوجيهات (الأعداد ١٢-١٤) :

من هو "**أرتيماس**" المذكور فى (١٢)؟ نحن لا نعرف شيئاً عنه ولم يُذكر اسمه إلا فى هذا المكان من كلمة الله. قال عنه سبيك Spic إن اسمه الكامل "أرتيميدورس" Artemidorus ، وهذا الاسم يعنى "عطية أو هبة أرطاميس". وعلى هذا فقد جاء من أفسس مركز عبادة أرطاميس، لكن هذا الرأى لا يؤخذ به كثيراً، وإلا نستطيع القول إن ديماس جاء من أثينا مكان الديمقراطية، وزيناس من قبرص لأن "زينان" أو "زينو" مؤسس الرواقية كان

قبرصياً • • • وهكذا.

أما "**تيخيكس**" فقد كان من رفاق الرسول المحبوبين، ونقرأ اسمه عدة مرات فى رسائل بولس، مثلاً فى (أعمال ٢٠ : ٤،

كولوسى ٤ : ٧ و٨، ٢ تسالونيكى ٤ : ١٢). ومن الشاهد الأخير يتضح أن الرسول أرسله لمعاونة تيموثاوس هناك.

ويطلب الرسول أن يبادر تيطس بالحضور إليه فى "نيكوبوليس"، وهى مدينة على ساحل البحر الأدرياتيكى فى مقاطعة أخائية جنوباً، بلاد اليونان الحالية. ويطلب الرسول ذلك الحضور فور وصول أريتماس وتيخيكس إليه ليتسلما خدمة كريت فى غيابه. "ونيكوبوليس" تعنى "مدينة النصر" ولذلك نجد سبع مدن على الأقل تحمل نفس الاسم فى كل الامبراطورية الرومانية.

ولقد بناها "أغسطس قيصر" لتحمل ذكرى انتصاره على أنطونيو وكليوباترا فى عام ٣٢ ق.م.

والرسول يطلب أن يأتى تيطس إليه لأنه سيقضى الشتاء هناك. يقول هاسلر Hasler إن هذا الأمر يتناقض مع تعليمات الرسول إليه فى تيطس (١ : ٥)، لكن واضح أن الرسول بحاجة إليه، وأن مهمته فى كريت لم تكن لفترة طويلة.

ومن هو "**زيناس الناموسىّ** ؟ لم يذكر زيناس إلا فى هذه الآية فى العهد الجديد. وكلمة "الناموسىّ" بالانجليزية Lawer وباليونانية nomikos، والكلمة فى إنجيلىّ متى ولوقا تعنى "كاتب" أو "باحث" فى التوراة أو فى شريعة موسى، لكنها تعنى أيضاً "محامى" أو "مساعداً للقاضى" فى القانون الرومانى. يقول هاسلر إن وجوده يعنى أن الرسول بحاجة إلى خدماته القانونية، وأن الكنيسة منفتحة على استخدام الطاقات المختلفة فى المجتمع.

أما "**أبلّوس**" فنحن نعرف عنه الكثير من خلال سفر الأعمال والرسالة الأولى إلى كورنثوس.

ويطلب الرسول من تيطس أن يجهِّز زيناس وأبلوس "باجتهاد للسفر"، والكلمة باليونانية تعنى أن "يتوخيا

السرعة"، والرسول يريد أن يضمن لهما حسن الضيافة حتى "**لا يعوزهما شيء**".

"**وليتعلم من لنا أن يمارسوا أعمالاً حسنة للحاجات الضرورية حتى لا يكونوا بلا ثمر**" (١٤). "وليتعلم من لنا" أو "أهلنا وذوينا" من مسيحيّ كريت، هكذا نرى أن العلاقة المسيحية علاقة أهل. "**أن يمارسوا أعمالاً حسنة**" كما فى عدد (٨) أى "**أعمالاً مشرفة للآخرين**"، وهنا نرى مرة أخرى التنبير على الإيمان العامل النافع المثمر "**حتى لا يكونوا بلا ثمر**".

أما عبارة "**الحاجات الضرورية**" فهى ترجمة دقيقة وحرفيّة للكلمة كما جاءت فى أصلها اليونانى، ويمكن ترجمتها أيضاً بـ"الحالات الملحة". والمعنى كما جاء فى ترجمة للدكتور عبد المسيح "وليتعلم جماعتنا أن يمارسوا الأشغال الشريفة ليسدّدوا الحاجات الضرورية فلا يكونوا غير منتجين".

وتركز بعض الترجمات الانجليزية (مثل J B و NEB) على ضرورة العمل لإشباع الحاجات. أما ترجمات أخرى (مثل R S V) فقد ركزت على أن المعنى مساعدة المحتاجين، وهناك معنى ثالث أن الرسول يحثهم على المشاركة فى أعمال الرحمة فى المجتمع ككل. وهكذا نستنتج أن المسيحية يجب أن تظهر للمجتمع فى الجانب العملى الاجتماعى والاشتراك فى القضايا العامة.

ثانياً : التحيات (عدد ١٥) :

"**يسلم عليكم الذين معى جميعاً. سَلِّم على الذين يحبوننا فى الإيمان. النعمة مع جميعكم. آمين**". وفى هذا العدد نستطيع أن نرى أفكاراً هامة مثل :

١- **روح الفريق :** فالرسول دائماً يشرك رفاقه معه فى عمله، ويذكرهم فى رسائله، هنا نرى العمل الجماعى المتناغم

"**الذين معى جميعاً**".

٢- **علاقة المحبة الخالصة : "الذين يحبوننا فى الإيمان**"، أو الذين يحبوننا بالحق، أو على أحبائنا المخلصين.

٣- **لاهوت الجماعة : "النعمة مع جميعكم**" وليس فقط النعمة للأشخاص فرادى، بل أيضاً للجماعة ككل.

أخيراً

فى هذه الأعداد التى تحمل التوجيهات والتحيات الأخيرة، يشير الرسول إلى بعض عناصر النجاح والتأثير فى الحياة وفى الخدمة.

العنصر الأول : التنظيم والترتيب والإدارة الجيدة، مظهر للإحساس العالى بالمسؤولية، وعنصر هام للنجاح والتأثير (١٢ و١٣). فلكى يطلب الرسول أن يبادر تيطس بالذهاب إليه، يرسل من يتسلم العمل أثناء غيابه حتى لا يتأثر العمل، ويطلب الإعداد الجيد لزيناس وأبلوس حتى لا ينقصهما شىء. إن التنظيم الجيد والترتيب الصحيح سمة مسيحيّة هامة للفاعلية فى البيت والعمل والخدمة والعبادة. "**لأنكم جميعاً تقدرون أن تتنبأوا واحداً واحداً ليتعلم الجميع ويتعزى الجميع، وأرواح الأنبياء خاضعة للأنبياء، لأن الله ليس إله تشويش بل إله سلام، كما فى جميع كنائس القديسين ● ● ● وليكن كل شىء بلياقة وحسب ترتيب**"
(١ كورنثوس ١٤: ٣١- ٣٣ و٤٠).

العنصر الثانى : الجماعة المؤمنة يجب أن تحيا حياة منتجة ونافعة للآخرين، لأن المجتمع لا يستطيع أن يرى الإيمان إلا فى جانبه العملى وفى أعمال الرحمة، لذا على المؤمنين أن يشاركوا

بفاعلية فى حمل هموم هذا الوطن الغالى الذى نعيش على ترابه الطاهر، ولنذكر أن هذه المساهمة الفعالة هى التى تؤدى إلى أن يكون الإنجيل مثمراً فى الناس من حولنا (١٤).

العنصر الثالث : عمل الفريق ولاهوت الجماعة. وهو يمثل احتياجاً كنسياً عاماً. فريق عمل متكامل، بعضه مع الرسول والبعض الآخر فى مواقع العمل. الرسول دائماً يشركهم ويذكرهم فى رسائله. يهتم بالأشخاص والأسماء (أرتيماس – تيخيكس – زيناس – أبلوس – تيطس) ويهتم أيضاً بالمجموع (الذين معى جميعاً). وفى هذا الفريق نرى القيادة الواضحة التى تصدر التوجيهات، والفريق الذى يتسم بالولاء المخلص.

أما لاهوت الجماعة فنراه فى الاهتمام بالجماعة "**يمارسوا ● ● ● حتى لا يكونوا بلا ثمر**" والارتباط بعلاقات محبة ومشاعر عميقة "**سلم على الذين يحبوننا فى الإيمان. النعمة مع جميعكم**" نراه أيضاً فى حقيقة أن الكنيسة عائلة واحدة هى عائلة الله "ليتعلم من لنا" أى أهلنا أو جماعتنا التى ترتبط مع بعضها البعض فى علاقات قوية ومشاعر دافئة.

الرسالة إلى فليمون

ثورة المحبة وميثاق الحرية

نص الرسالة

١ بولس أسير يسوع المسيح وتيموثاوس الأخ إلى فليمون المحبوب والعامل معنا.٢ وإلى أبفية المحبوبة وأرخبس المتجند معنا وإلى الكنيسة التي في بيتك.٣ نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح.

٤ أشكر إلهي كل حين ذاكراً إياك في صلواتي. ٥ سامعاً بمحبتك والإيمان الذي لك نحو الرب يسوع ولجميع القديسين. ٦ لكي تكون شركة إيمانك فعالة في معرفة كل الصلاح الذي فيكم لأجل المسيح يسوع. ٧ لأن لنا فرحاً كثيراً وتعزية بسبب محبتك لأن أحشاء القديسين قد استراحت بك أيها الأخ.

٨ لذلك وإن كان لي بالمسيح ثقة كثيرة أن آمرك بما يليق. ٩ من أجل المحبة أطلب بالحري إذ أنا إنسان هكذا نظير بولس الشيخ والآن أسير يسوع المسيح أيضاً. ١٠ أطلب إليك لأجل ابني أنسيمس الذي ولدته في قيودي. ١١ الذي كان قبلاً غير نافع لك ولكنه الآن نافع لك ولي.١٢ الذي رددته فاقبله الذي هو أحشائي. ١٣ الذي كنت أشاء أن أمسكه عندي لكي يخدمني عوضا عنك في قيود الإنجيل. ١٤ ولكن بدون رأيك لم أرد أن أفعل شيئاً لكي لا يكون خيرك كأنه على سبيل الاضطرار بل على سبيل الاختيار. ١٥ لأنه ربما لأجل هذا افترق عنك إلى ساعة لكي يكون لك إلى الأبد.١٦ لا كعبد في ما بعد بل أفضل من عبد أخاً محبوباً ولا سيما إلي فكم بالحري إليك في الجسد والرب جميعاً.١٧ فإن كنت تحسبني شريكاً فاقبله نظيري.١٨ ثم إن كان قد ظلمك بشيء أو لك عليه دين فاحسب ذلك علي. ١٩ أنا بولس كتبت بيدي أنا أوفي حتى لا أقول لك إنك مديون لي بنفسك أيضاً.

٢٠ نعم أيها الأخ ليكن لي فرح بك في الرب أرح أحشائي في

الرب. ٢١ إذ أنا واثق باطاعتك كتبت إليك عالماً أنــك تفعــل أيضاً أكثر مما أقول. ٢٢ ومع هذا أعدد لي أيضاً منزلاً لأنـــي أرجو أنني بصلواتكم سأوهب لكم.

٢٣ يسلم عليك أبفراس المأسور معي في المســيح يســوع. ٢٤ومرقس وأرسترخس وديماس ولوقا العاملون معــي. ٢٥ نعمة ربنا يسوع المسيح مع روحكم أمين إلى فليمون كتبت من رومية على يد أنسيمس الخادم.

تقسيم الرسالة

- تحيات افتتاحية (الأعداد ١ – ٣).
- شكر (الأعداد ٤ – ٧).
- طلبة (الأعداد ٨ – ٢٢).
- خاتمة (الأعداد ٢٣ – ٢٥).

الرسالة إلى فليمون من أقصر رسائل العهد الجديد، وهى أقصر رسالة كتبها الرسول بولس، فهى عبارة عن أصحاح واحد يحتوى على خمس وعشرين آية. ولكن بالرغم من قصر هذه الرسالة ، إلا أنها من كنوز العهد الجديد، لأنها نموذج فريد لرسالة شخصية من الرسول إلى صديق له. وهذا واضح من ضمير المخاطب المفرد فى (الآيات ٤ و٢١) والذى يشير إلى فليمون.

ويقول الدكتور فهيم عزيز (فى كتابة المدخل إلى العهد الجديد ص ٥٠٢)، إن هذه الرسالة غالباً **لم** تكن هى الوحيدة التى كتبها الرسول بولس لأفراد، لكنها الوحيدة التى بقيت من هذا النوع من الرسائل.

لكننا نرى بوضوح مع لوكاس R.C. Lucas أن ضمير المخاطب جاء بالجمع، سواء فى العدد الثالث أو فى (الأعداد ٢٢ – ٢٥) فى خاتمة الرسالة. مما يوحى بأن الرسالة شخصية وعامة فى نفس الوقت "**إلى الكنيسة التى فى بيتك**". وهنا يبرز الرسول المسئولية المشتركة لكل الكنيسة تجاه أنسيمس.

فليمون الرجل والأسرة

فى هذه الرسالة نرى فليمون رجل الأعمال الناجح، من سكان وادى ليكوس، مع بيت وأسرة لها تقديرها ومكانتها فى مجتمعها. وربما تكون اهتماماته بمتابعة أعماله هى التى قادته إلى أفسس، وهناك التقى بالرسول بولس، وفى (عدد ١٩) ينسب الرسول إيمان فليمون الشخصى بالمسيح لخدمته عندما يقول له "**إنك مديون لى بنفسك أيضاً**".

ونتيجة ثمر هذا الإيمان، أصبح فليمون شـريكاً للرسـول فـى المأمورية العظمى للإنجيل.وأصبح بيته مكاناً لاجتماع المؤمنين فى مدينته كما فى (عدد ٢) "**الكنيسة التى فى بيتك**"، لأن بنـاء الكنائس فى شكلها المعروف لم يكن قد بدأ بعد. ويقترح البعض أن "**أبفية**" هى زوجته التى تستضيف المؤمنين فـى مجموعـة الشركة هذه، وأن "**أرخبّس**" هو ابنه الذى بدأ يسـتخدم مواهبـه الروحية فى الخدمة التى أوكلت إليـه لصـالح الكنـائس فـى لاودوكية وكولوسى (كولوسى ٤ : ١٦ – ١٧).

ولقد اختلف الدارسون حول مكان إقامة فليمون، فالبعض يقـول إنه كان يسكن فى كولوسى، ويبنون رأيهم على مـا جـاء فـى (كولوسى ٤ : ٩) بأن أنسيمس من سكان كولوسى، إذن لابد أن يكون سيده من نفس المدينة.

والبعض الآخر يرى أنه من سكان لاودوكية، ويبنون رأيهم على ما جاء فى (كولوسى ٤ : ١٧) "**وقولوا لأرخـبس انظـر إلـى الخدمة التي قبلتها في الرب لكي تتممها**"، ويربطون بين هـذا الأمر وبين طلب الرسول أن تُقرأ الرسالة التـى كتبـت إلـى لاودوكية، مما يعنى أن أرخبس، وهو ابن فليمون كما عرفنا من قبل، من سكان لاودوكية.

على كل حال تتبنى الغالبية من الدارسين الاتجاه الأول، وهو أن فليمون من سكان كولوسى، لكنه على ما يبدو مهتم بالخدمة مع عائلته فى المدينتين.

وهكذا نرى أمامنا أسرة متحدة رائعة مكرسـة لخدمـة الـرب يسوع، مما جعل الرسول يعبر عن مشاعره الخاصة نحوهم فى مستهل الرسالة، فيقول فى (الأعداد ١و٢) " **بولس أسير يسوع المسيح وتيموثاوس الأخ إلى فليمون المحبوب والعامل معنـا. وإلى أبفية المحبوبة وأرخبس المتجند معنا وإلى الكنيسة التـي**

في بيتك".

ثم يفيض قلبه بالشكر لله لأجلهم فيقول في (الأعداد ٤– ٧) "**أشكر إلهي كل حين ذاكراً إياك في صلواتي. سامعاً بمحبتك والإيمان الذي لك نحو الرب يسوع ولجميع القديسين. لكي تكون شركة إيمانك فعالة في معرفة كل الصلاح الذي فيكم لأجل المسيح يسوع. لأن لنا فرحاً كثيراً وتعزية بسبب محبتك لأن أحشاء القديسين قد استراحت بك أيها الأخ**".

لهذا كان الرسول بولس مستريحاً إليهم، وتمنى أن يخرج من السجن لينزل ضيفاً فى حجرة الضيوف بينهم، مجدداً فرح الشركة التى تربطه بصديقه القديم. لذلك يقول فى (عدد ٢٢) "**ومع هذا أعدد لي أيضاً منزلاً لأني أرجو أنني بصلواتكم سأوهب لكم**".

أنسيمس العبد الهارب

كان أنسيمس واحداً من عبيد فليمون، كان عبداً غير نافع (عدد ١١)، ويبدو أنه تعود السرقة، وفى مرة ما سرق سيده وفرّ هارباً إلى حياة الرذيلة التى يهددها الجوع والضياع فى متاهات المدينة الكبيرة. لذلك يقول الرسول موجهاً كلامه إلى فليمون فى (عدد ١٨) "**ثم إن كان قد ظلمك بشيء أو لك عليه دين فاحسب ذلك عليَّ**".

لكن هذه الظروف قادت أنسيمس بطريقة ما إلى الرسول بولس. هل لأنه سمع سيده يتحدث عن هذا القائد المسيحى الكبير بحب وتقدير؟. هل اليأس من حاله وظروفه هو الذى دفعه أن يبحث عن الرسول؟. أياً كانت الدوافع فقد أصبح أنسيمس ابناً روحياً للرسول بولس، لذلك يقول عنه الرسول مخاطباً فليمون فى (عدد ١٠) "**أطلب إليك لأجل ابني أنسيمس الذي ولدته في قيودي**".

وواضح أن أنسيمس بعد تجديده، قضى وقتاً مع الرسول وأصبح

نافعاً له فى ظروف سجنه فى روما، حتى أن الرسول يقول عن أنسيمس فى (عدد ١١) "**الذي كان قبلاً غير نافع لك ولكنه الآن نافع لك ولي**".

إن المعنى الحرفى لاسم أنسيمس باليونانية "مفيد"، والرسول أراد أن يقول لفليمون لقد أصبح أنسيمس مفيداً بالفعل، بعد أن غيرته وغمرته نعمة المسيح.

صراع العودة وكتابة الرسالة

يصف الرسول نفسه بكلمة "**أسير**" (الأعداد ١ و٩ و١٣ و٢٣)، لقد ساعدته هذه القيود أن يطلب من أنسيمس أن يعود. والآن على أنسيمس أن يعود إلى سيده، ولابد أن الرسول ناقش هذا الأمر طويلاً معه. لم يكن الأمر سهلاً على الاثنين، فالرسول يعلم جيداً مشكلة أن يتستر على عبد هارب، وفى نفس الوقت هو بحاجة إلى خدمة أنسيمس له فيقول فى (عدد ١٣) "**الذي كنت أشاء أن أمسكه عندي لكي يخدمني عوضاً عنك في قيود الإنجيل**".

وأنسيمس أيضاً يفضل أن يبقى فى روما خادماً لحاجات الرسول، لكن إيمانه الجديد يحتم عليه أن يصحح أخطاءه، وأن يواجهها ويرتقى فوقها. فى نفس الوقت هو يعلم مخاطرة العودة لعبد هارب حسب القانون الرومانى، إن أقل عقاب له – كما يقول وليم باركلى، ن. ت. رايت – هو دمغه على جبهته بالحرف (هـ) أى "هارب" بقضيب محمى، وأشد عقاب هو صلبه وتعرضه لتعذيب وحشى وتركه يموت ميته بشعة.

كان الرسول وأنسيمس يعلمان كل هذه المخاطر، لكن أياً كان الثمن فالإيمان الجديد يدفع أنسيمس بتشجيع الرسول، بالإقرار بالواقع وتصحيحه. فالمسيحية لا تدعو إلى الهروب من الماضى أو الحاضر، بل إلى المواجهة الموضوعية والتصحيح الحقيقى.

المسيحية لا تدعو إلى الهروب بل إلى الانتصار.

على هذا الأساس كتب الرسول رسالته إلى فليمون ليعود بها أنسيمس إلى سيده فى كولوسى، وقد بذل الرسول – كما يقول رايت N.T.Wright – فى رسالته أفضل ما توافر لديه من براعة وحنكة وحسن تقدير للموقف، ضماناً لما سوف يتحقق من ورائها من مصالحة تامة بين فليمون وأنسيمس.

فالرسول يرتبط بعلاقة قوية مع فليمون كما يظهر فى (الأعداد ١ – ٧)، وكما يتضح فى (عدد ١٩). وهو الآن يرتبط بعلاقة قوية مع أنسيمس كما يظهر فى (الأعداد ١٠ – ١٤). لذا أصبح فليمون وأنسيمس معاً فى الرسول (الأعداد ١٧ – ٢٠)، أى أن الرسول يضع نفسه مكان المسيء والمساء إليه، صانعاً مصالحة وسلاماً بينهما (انظر ٢ كورنثوس ٥ : ١٦ – ٢١).

على أساس هذه المصالحة، لا يطلب الرسول من فليمون أن يقبل أنسيمس فقط، وأن يسامحه على ما فعل، وأنه – أى الرسول – مستعد أن يدفع له الأموال التى سرقها أنسيمس، بل أن يقبله ويعامله "**لا كعبد فى ما بعد بل أفضل من عبد أخاً محبوباً ولا سيما إلىَّ فكم بالحرى إليك فى الجسد والرب جميعاً. فإن كنت تحسبنى شريكاً** "**فاقبله نظيرى**" (الأعداد ١٦و١٧).

ويعبر الرسول فى صلاته فى (عدد ٦) عن الهدف الشامل لهذه المصالحة للجماعة المسيحية فيقول "**لكي تكون شركة إيمانك فعالة في معرفة كل الصلاح الذي فيكم لأجل المسيح يسوع**". إن الهدف هو "الشركة" Koinonia، المحبة المتبادلة بين شعب الرب، التى تتطور بالمعرفة المستمرة إلى "معرفة" كل الصلاح لأجل المسيح يسوع، أى الوقوف العملى الكامل على كل الصلاح الذى يعمله الله فى المسيح، والذى يجب أن يقوم به فليمون من صلاح "وخير" كما فى (عدد ١٤) لأجل المسيح.

وهذا الصلاح والخير هو وحدة الجسد ونموه معاً من خلال التواضع والتسامح والمصالحة، إنه الاختراق العملي للإنجيل لعالم الظلمة والشك والغضب والكبرياء والخوف، من خلال الأخبار السارة والشركة الفعَّالة والمحبة الغافرة.

على أن بعض الدارسين يؤكدون أن هدف الرسالة ليس فقط المصالحة، وقبول فليمون لأنسيمس عند عودته، بل إن الرسول يطلب بوضوح فى الرسالة أن يرد فليمون أنسيمس إليه ثانية ليخدمه فى سجنه، معيناً إياه فى خدمة الإنجيل. هذه الخدمة التى كان يجب على فليمون أن يقوم بها.

ولذلك يقول الرسول فى (الأعداد ١٣و١٤) "**الذي كنت أشاء أن أمسكه عندي لكي يخدمني عوضاً عنك في قيود الإنجيل. ولكن بدون رأيك لم أرد أن أفعل شيئا لكي لا يكون خيرك كأنه على سبيل الاضطرار بل على سبيل الاختيار**".

على أن أنسيمس فى صراع العودة، كان يشعر ببعض العوامل المشجعة والمعزية له من بينها :

- رفقة وشركة تيخيكس وما له من تقدير بين الكنائس (كولوسي٤: ٧-٩).
- ما يتضمنه خطاب الرسول إلى فليمون.
- ما اختبره ويعرفه أنسيمس في تجربته الماضية عن سيده من لطف وشفقة وكرم وحب لعمل الخير.

وفي هذا السياق من المهم أن ننبّر على ضرورة الترحيب بعودة المخطئ، لا بالنظر إليه بعين الشك والارتياب دائماً. لنذكر أن الله غفر لنا وقبلنا ووثق فينا في نفس المجالات التي فشلنا فيها. إن طريق العودة شاق دائماً، فلا نجعله أكثر مشقة ببرنا الذاتي أو بجحود قلوبنا.

الرسول ومسألة الرق

بالرغم من أن الرسالة في الأساس هي خطاب شخصي مفعم بمشاعر المحبة والصداقة الإنسانية، بعيداً عن المشكلات الكنسية كما نرى في الرسائل الأخرى، إلا أننا نرى فيها وبوضوح موقفاً بالغ الأهمية، هو موقف الرسول من مسألة الرق أو العبودية. مما يعكس – في هذا الزمن المبكر– العلاقة بين إنجيل المسيح والمشكلات الاجتماعية في حياة الناس والمجتمع.

وهناك البعض الذي ينتقد الرسول، وينقص من قدر ثوريته في معالجة الإنجيل لموضوع الرق بحسم أشد، وأنه لم يقتنص الفرصة ليدين العبودية في جملتها، كجزء لا يتجزأ من العالم القديم تأسس عليه المجتمع في ذلك الحين. وفي ذلك يقول Light foot – كما ينقل عنه باركلي في تفسيره – إن كلمة تحرير تبدو أنها ترتعش على شفتيه، ولكنه لا يتفوه بها قط.

لكن هؤلاء الذين ينتقدون موقف الرسول، ينسون–كما يقول – Lucas حالة وتركيبة المجتمع الروماني في ذلك العصر. وفي نفس الوقت يستطيعون من دراسة الرسالة، أن يروا اهتمام الرسول الواضح بهذا الموضوع في كل جملة وعبارة كتبها.

صحيح أن الرسول يدرك الطبيعة الحساسة لدوره هذا، لكنه بلطف وذكاء أعدّ الطريق لطلبه الجرىء والشجاع جداً في عصره. إنه يطلب أن يُستقبَل أنسيمس بترحاب وتقدير كاملين، كما يُستقبَل الرسول نفسه. ولمن؟ إنه يطلب ذلك لعبد هارب، في ذلك الوقت كان هذا الطلب شيئاً غير معقول أو مقبول على الإطلاق.

ويضيف الدكتور فهيم عزيز – في المدخل إلى العهد الجديد ص٥٠٦-٥٠٨- أن من يريد أن يعرف رأي الرسول بولس في هذه المسألة، عليه أن يرجع إلى رسائله المبكرة، حتى يقف على

التطور الذي حدث لهذا الرأي.

ففي (١كورنثوس٧: ٢٠-٢٤) يقول "**الدعوة التي دعي فيها كل واحد فليلبث فيها. دعيت وأنت عبد فلا يهمك. بل وإن استطعت أن تصير حراً فاستعملها بالحري. لأن من دعي في الرب وهو عبد فهو عتيق الرب. كذلك أيضاً الحر المدعو هو عبد للمسيح. قد اشتريتم بثمن فلا تصيروا عبيداً للناس. ما دعي كل واحد فيه أيها الإخوة فليلبث في ذلك مع الله**".

وفي (كولوسي٣: ٢٢-٤: ١) يقول "**أيها العبيد أطيعوا في كل شيء سادتكم حسب الجسد لا بخدمة العين كمن يرضي الناس بل ببساطة القلب خائفين الرب. وكل ما فعلتم فاعملوا من القلب كما للرب ليس للناس عالمين أنكم من الرب ستأخذون جزاء الميراث. لأنكم تخدمون الرب المسيح. وأما الظالم فسينال ما ظلم به وليس محاباة. أيها السادة قدموا للعبيد العدل والمساواة عالمين أن لكم أنتم أيضاً سيداً في السماوات**".

رسالة كورنثوس كتبت سنة ٥٥م، أما رسالة كولوسي فقد كتبت في سنوات متأخرة عن ذلك. وواضح من هذه النصوص أن الرسول وقف أمام مسألة الرق بكل جدية، لأنها لا تتفق مع الإرادة الحقيقية للرب، وأن تفكيره كان يتطور ويتعمق باستمرار. إنه لا يستطيع بجرة قلم أن يدين نظاماً قام عليه المجتمع، وهو لا يستطيع أن يفعل شيئاً، ولو استطاع لتقوض المجتمع الروماني، وحدثت كارثة اجتماعية مروعة، تهدد المجتمع وتهدد الكنيسة الناشئة.

لكنه بالرغم من ذلك يقول للعبيد في كورنثوس: دعيت وأنت عبد فليكن، لكن إذا واتتك الفرصة لتكون حراً فاغتنم هذه الفرصة، عالماً أنك أنت عبد للرب كما أن الحُر هو عبد للمسيح. فالاثنان يتساويان أمام الرب.

أما في كولوسي فيتعامل مع نظام العبودية بتفاصيل أكثر من وصاياه لأفراد العائلة. فهو يتحدث عن علاقات الأسرة في ٤٢ كلمة (٣: ١٨-٢١)، أما عن علاقة العبيد بالسادة فيتحدث في ٧٤ كلمة (٣: ٣٣-٤: ١). هذا يدل على أنه وقت كتابة كولوسي- والذي يرجح أنه وقت كتابة فليمون- كان مشغولاً جداً بهذه العلاقة، ولذلك نراه في كولوسي يتحدث إلى العبيد والسادة بمفاهيم جديدة تماماً على المجتمع الروماني ولا تخطر ببال أحد.

يقول للعبيد أنتم تخدمون لا كعبيد لإنسان بشري، بل كمؤمنين وعبيد للرب يسوع، ولذلك أنتم تخدمون الرب المسيح من خلال خدمتكم لسادتكم حسب الجسد. ولذلك اخدموا كما للرب وليس للناس، لأنكم من الرب ستأخذون جزاء الميراث. أما السيد الظالم فسيدينه الرب الذي هو السيد فوق الجميع، الذي ليس عنده محاباة.

ويتحدث إلى السادة ويطلب منهم أن يقدموا لعبيدهم العدل والمساواة، ليس رحمة بهم وشفقة عليهم كعبيد يملكونهم، ولكن لأن هناك سيداً عليهم هو نفس سيد هؤلاء العبيد، وسوف يجازي الكل. (نرجو العودة إلى تفاصيل أكثر عن هذا النص فى كتابنا "علامات على الطريق" دراسة فى رسالة كولوسى).

بهذه المفاهيم يتحدث الرسول إلى فليمون عن أنسيمس، يتحدث إلى فليمون الذي هو سيد في نظر الناس، عن أنسيمس الذي هو عبد في نظر الناس، ولكن الاثنين في نظر الله أخّان وعبدان له، متساويان في القيمة والكرامة، ومرتبطان فيه كل في دعوته ومجال خدمته. إن الرسول بهذه المفاهيم- كما يقول الدكتور فهيم عزيز- لا يرفع قدر الإنسان فقط، بل يرفع من قدر العمل مهما كان نوعه.

وهكذا نرى- كما يقول باركلي- أن المسيحية من خلال الرسول بولس لم تهاجم نظام الرق في بداية الأمر، حتى لا تقوّض أركان المجتمع ولا تُهدَّد الكنيسة. ولكن ما فعلته المسيحية هي أنها أوجدت علاقة جديدة بين الإنسان والإنسان، علاقة اختفت منها كل الفوارق، لأن الجميع واحد في المسيح. يقول الرسول في (غلاطية٣: ٢٨) "**ليس يهودي ولا يوناني ليس عبد ولا حر ليس ذكر وأنثى لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع**".

وكان الرسول يدرك أنه إذا سادت هذه المفاهيم الإيمانية، وهذه العلاقة الجديدة، فإن التحرر الكامل أمر لابد أن يحدث فى وقته المناسب، وهذا ما حدث بالفعل. يعلق N.T.Wright ويقول ربما يكون المبدأ التفسيرى الوحيد هنا، هو ذلك الأمر الصادر فى قرينة أخرى، حيث كان الصدام قائماً بين العرف والإيمان، الأمر الذى يقول "**اذهب أنت أيضاً واعمل هكذا**".

ثورة المحبة وميثاق الحرية

إن كل الرسالة تعكس جو المحبة المسيحية، والإحساس العميق بالمناخ الأسرى، فهى كما يقول لوكاس Lucas من أخ إلى أخيه تجاه أخ ثالث. شعارها الكلمات التى جاءت فى (عدد٩) "**من أجل المحبة أطلب**".

ويضيف lucas إنه إذا كانت كلمات العدد التاسع هى الشعار، فكلمات (عدد ١٦) هى قلب هذه الرسالة. فهى عبارة عن " ميثاق تحرير" يقول فيها الرسول عن أنسيمس "**لا كعبد في ما بعد بل أفضل من عبد أخاً محبوباً ولا سيما إلي فكم بالحري إليك في الجسد والرب جميعاً**".

وليس المقصود بالطبع أن يترك عمله فى خدمة سيده ، بل كما يؤكد سكوت E.F.Scott عليه أن يعمل فى موقعه بأمانة وكفاءة

أكبر ،حتى بعد مواجهته العقاب ،لأن هذا هو الطريق الوحيد للبرهان على أصالة اختباره ولكن سيده سينظر إليه من خلال العلاقة الجديدة التى نشأت كأخ محبوب .ليس فقط فى الأمور الروحية "**فى الرب**"، بل فى الأمور اليومية العملية أيضاً "**فى الجسد والرب جميعاً**".

وهذه هى ثورة المحبة المحررة فى المجتمع المسيحى. فإن كانت المسيحية تعطى الحرية الجديدة للإنسان، على الإنسان المسيحى أن يكون قادراً على استخدام هذه الحرية بطريقة صحيحة.

وهذا ما نراه فى اختبار وحياة أنسيمس، فإن كان الرسول فى (عددى ١٣ و١٤) يشير إلى رجائه أن يعود أنسيمس إلى روما لخدمته، فهو يشير فى (عدد ٢٢) إلى أمنيته أن يعود إلى أسرة فليمون. ووقتها يتمنى أن يحرر فليمون أنسيمس ليذهب مع الرسول – كتيموثاوس جديد – فى رحلة مستقبلية، حتى يمكن لأنسيمس فى ظل وضع جديد، عادل ومحب، أن يستثمر كل طاقاته كإنسان وكابن للرب.

ويشير عدد كبير من الدارسين إلى رسالة أغناطيوس إلى أفسس، والتى كتبها بعد نصف قرن من كتابة فليمون، عندما أخذ هذا الشهيد العظيم من كنيسة أنطاكية ليُعدم فى روما. وفى أثناء ذهابه يكتَب رسائل،لازالت باقية، إلى كنائس آسيا الصغرى ولذلك توقف فى سميرنا ليكتب رسالة إلى كنيسة أفسس، والتى فى الفصل الأول منها يتكلم عن أنسيمس أسقف أفسس.

ومن يدرى ربما رجع أنسيمس إلى الرسول مرة أخرى وكان خادماً له، ثم أصبح واحداً من رجال الكنيسة المعروفين حتى أصبح أسقفاً. وهنا عمل النعمة الغنى، أن العبد الهارب قد أصبح مع الأيام أسقف أفسس العظيم.

الكنيسة والمجتمع

من خلال دراسة هذه الرسالة نستطيع أن نرى التغيير الكبير الذي يحدثه الإنجيل، في حياة هذه الكنائس الصغيرة للعهد الجديد. كما نقدر النموذج لأولوية التغلغل الرسولي في مشاكل المجتمع.

لقد أصبحت هناك جذر صغيرة تمارس حياتها بأسلوب مختلف عن أسلوب المجتمع الروماني كله في ذلك الوقت، ولابد أن هذه البداية سوف تؤتي ثمارها. صحيح أنها أخذت حوالي ١٨ قرناً حتى أتى انتصار وليم ولبرفورث في صيحته لتحرير العبيد، لكنها كانت الخميرة التي عملت فعلها في التاريخ البشري.

إن هذه الرسالة مازالت تخاطب كل الطغاة الآن في التاريخ الحديث، ومازالت تدعو الكنيسة أن تقوم بدورها، وأن تقدم إنجيل العدل والحرية والمساواة والكرامة والمحبة، إلى مجتمعات مازالت تعاني الظلم والاستغلال وانتهاك حرية وحقوق الآخرين.

إنها تدعو الكنيسة أن تنادي، بناءً على أسس الإنجيل، بعدالة اجتماعية، وحياة كريمة، وحرية حقيقية، وبيئة نظيفة، ونظم حكم صالحة في كل مجتمعاتنا العربية. وفي المقابل أن تدعو الكنيسة كل من يطالب بهذه الحقوق، أن يسلك المسلك الصحيح والقانوني والمخلص والمتحضر والصبور حتى ينال حقوقه.

فالمسيحية لا تنادي بالتغيير السريع عن طريق الاحتجاج، والمقاومات العنيفة، والإرهاب، والحروب، والرسول لم يفعل أو يأمر بذلك. إن الشرور موجودة في المجتمع الإنساني وستظل، والسيد المسيح والرسل أدركوا هذه الحقيقة (مرقس١٣: ٧ و٨). والمسيحي عليه أن يعيش ويعاني في عالم شرير، حتى يأتي

المسيح ثانية.

في نفس الوقت على المسيحي أن يكون إيجابياً نافعاً لمجتمعه، وأن يكون صانع سلام في الأسرة وفي الكنيسة وفي المجتمع الكبير. وعليه أن يأخذ بالتدرج في التغيير والإصلاح، فالشرور والفساد والاستغلال ستبقى في عالم ساقط، بما فيه من ألم وظلم وأنظمة اجتماعية غير عادلة وغير صالحة. وعلى المسيحي أن يعيش وسط هذه الأنظمة كملح ونور بكلماته والأهم بحياته وأفعاله، حتى يتمكن من إحداث التغيير المنشود. (انظر تعليق Lucas في كتابه حول رسالتي كولوسي وفليمون بعنوان "Fullness & Freedom" صفحات ١٨٣-١٩٠).

وسواء كنا في موقع أنسيمس أو فليمون، يمكننا أن نجد في إنجيل المسيح الحرية الروحية الحقيقية، التي تجعلنا كفليمون نملك القوة والفرصة والمسئولية، لتحرير الأسير بطرق عملية.

من هنا كان أمل الرسول أن يبدأ من هذه الكنيسة الصغيرة، عملية التغيير والتحرير في كل مجموعات وادي ليكوس، في كولوسي ولاودوكية وهيرابوليس، حتى تشمل كل العالم في ذلك الحين. وهنا نقف أمام درس عظيم، أن الكنائس المحلية تستطيع بقوة الإنجيل الفاعلة، وبوعي الكنيسة بدورها، أن تعيد إلى العالم الرجاء الذي يحتاجه.